



العَقِيدَةُ المُيَسَّرَةُ

مِنَ الكِتَابِ العَزِيزِ وَالسُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ

تأليفُ الدكتور

أحمد بن عبد الرحمن القاضي

قِسمُ العَقِيدَةِ - كُلِّيَّةُ الشَّرِيعَةِ وَالدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ

جَامِعَةُ القَصِيمِ



الطبعة الثالثة

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

مزيدة ومنقحة

العقيدة الميسرة

من الكتاب العزيز والسنة المطهرة

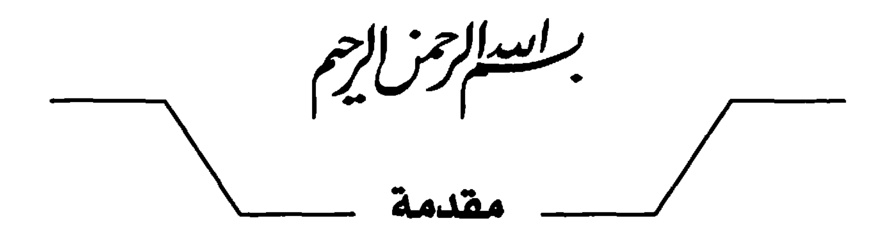
تأليف الدكتور

أحمد بن عبد الرحمن القاضي

قسم العقيدة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، القائل سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي امتن الله على عباده ببعثته، فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤]. أما بعد:

فإن الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى، ودين الحق، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال المبين إلى الهدى التام، الذي به انشراح الصدور، وطمأنينة القلوب؛ فإن (الهدى) هو العلم النافع، و(دين الحق) هو العمل الصالح. وعلى هذين الركنين العظيمين تقوم الحياة الطيبة.

وقد ضمَّن الله تعالى كتابه العزيز كافة ما يحتاج إليه العباد في

عقائدهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وأخلاقهم. وجاءت السنة المطهرة تبياناً لما أجمل، وتفسيراً لما أبهم، وتفصيلاً لما عمَّم؛ كما قال ﷺ: «ألا إني أُوتيتُ الكتابَ، ومثلَهُ معه» رواه أبو داود[١].

والعقيدة الإسلامية عماد هذا الدين، وقاعدته، وسر قوته وظهوره على الدين كله لما تتضمنه من الخصائص الفريدة، ومنها:

➢ أولاً: التوحيد: لله تعالى بالعبادة، وللنبي ﷺ بالاتباع.

➢ ثانياً: التوقيف: فهي ربانية المصدر؛ لا يتجاوز فيها القرآن والحديث، ولا تستمد من رأي أو قياس.

➢ ثالثاً: موافقة الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها قبل أن تجتالهم الشياطين.

➢ رابعاً: موافقة العقل الصريح، السالم من الشبهات والشهوات.

➢ خامساً: الشمول: فلا تدع جانباً من جوانب الكون والحياة والإنسان إلا بيَّنته.

➢ سادساً: التشابه: فبعضها يصدق بعضاً، فلا تناقض ولا تفاوت في مفرداتها.

➢ سابعاً: الوسطية: فهي ميزان الاعتدال بين الإفراط والتفريط بين مختلف المقالات.

وقد أثمرت هذه الخصائص الثمار التالية:

* أولاً: تحقيق العبودية لرب العالمين، والتحرر من الرق للمخلوقين.

---

(١) برقم (٤٦٠٤) من حديث المقدام بن معدِ يكرب ﷺ.

* ثانياً: تحقيق الاتباع لرسول رب العالمين، والانعتاق من البدعة والمبتدعين.

* ثالثاً: الراحة النفسية، والطمأنينة القلبية، بالصلة بالخالق المدبر الحكيم.

* رابعاً: القناعة الفكرية، والاطراد العقلي، والسلامة من التناقض، والخرافة.

* خامساً: تلبية حاجات الروح وحاجات الجسد، والتكامل بين الاعتقاد والسلوك.

ولم يزل علماء الملَّة، يولون العقيدة همَّهم، ويبذلون في تعليمها وتقريرها جهدهم، ويصنفون في ذلك المتون المختصرة، والشروح المطوَّلة، تارة في بيان مجمل اعتقاد السلف، وتارة في بيان مسألة معينة، وأخرى في الرد على أهل الأهواء والبدع المضلة.

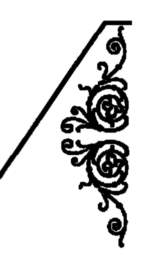
وقد رأيت تقريب مسائل الاعتقاد، وترتيبها على نسق الترتيب النبوي لأصول الإيمان الستة المذكورة في حديث جبريل المشهور، معتمداً على نصوص الوحيين فقط: الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، جاعلاً تحت كل أصل ما يتضمَّنه من مفردات، مذيِّلاً إياه ببيان من ضلَّ في ذلك الباب، والرد عليه دون إطناب.

فجاءت هذه العقيدة وسيطة بين الإطالة والاختصار، واتسمت بالوضوح واليسر، ليتمكن آحاد المسلمين من الانتفاع بها، وتحصيل المقصود من الإلمام بمجمل اعتقاد السلف بعبارة سهلة، وترتيب موضوعي. وسمَّيتها:

«العقيدة الميسرة من الكتاب العزيز والسنة المطهرة»

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، نافعاً لعباده.
وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه:
د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ قسم العقيدة
جامعة القصيم
E-mail: al-aqidah@al-aqiadh.com
E-mail: qadisa@yahoo.com
ص.ب (٢٤٦)، الرمز البريدي (٥١٩١١) عنيزة

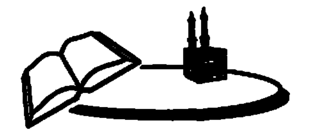


العقيدة الميسّرة
من الكتاب العزيز والسنة المطهرة

أساس العقيدة الإسلامية هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

وقال ﷺ لجبريل عليه السلام لما سأله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» رواه مسلم(١).



(١) برقم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.



الإيمان بالله

فالإيمان بالله هو الاعتقاد الجازم بوجوده سبحانه، وأنه ربُّ كل شيء، المستحق للعبادة وحده دون سواه، المتَّصف بصفات الكمال، المنزَّه عن صفات النقص.

ويتضمن الإيمان بالله أربعة أمور:

أولاً الإيمان بوجوده

وجوده سبحانه أحق الحق: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢]، والشك في وجوده بُهت ونكر: ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠]، وجحدُ وجوده كبر، وظلم، وكفر: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٣ ـ ٢٩].

وقد دلَّ على وجوده سبحانه أمور، منها:

١ الفطرة السليمة

وهي ما جُبل عليه ابن آدم من غير سبق تعليم.

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠]، وقال ﷺ: **«ما من مولود إلا يولدُ على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانِهِ، أو ينصِّرَانِه، أو يُمجِّسانِهِ»** رواه البخاري. وفي رواية عند مسلم: **«ما من مولود يولد إلّا وهو على المِلَّة»**. وفي رواية عنده: **«إلَّا على هذه الملَّةِ، حتى يُبَيِّنَ عنه لسانُه»**. وفي رواية أخرى عنده: **«ليس مِن مولود يُولدُ إلّا على هذه الفطرة، حتى يُعبِّرَ عنه لسانُه»**[١].

فكل مخلوق باقٍ على فطرته الأصلية يجد في نفسه الإيمان بوجود الله، إلا أن يطرأ على تلك الفطرة ما يفسدها. قال تعالى في الحديث القدسي: **«إني خلقتُ عبادي حنفاءَ كُلَّهم، وإنهم أتتهُمُ الشياطينُ فاجتالتْهُم عن دينهم»** رواه مسلم[٢].

وربما رانَ على الفطرة حجاب من الشبهات، والشهوات، لكنها تظهر على حقيقتها في أوقات الشدائد، والأزمات. قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

٢ العقل الصريح

وهو السالم من الشبهات والشهوات، فإنه يقطع بأن المخلوقات لا بد لها من خالق؛ لأنها لا يمكن أن توجد صدفة بدون خالق؛

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٥٨)؛ ومسلم برقم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم (٢٨٦٥) ضمن حديث طويل، من حديث عِياض بن حِمَار المُجَاشِعيِّ رضي الله عنه.

ولا يمكن أن توجِد نفسها بنفسها، فالعدم لا يُنشئ وجوداً! فلا بد من خالق موجِد، وهو الله سبحانه.

ولمَّا قدمَ جُبير بن مُطعم على رسول الله ﷺ في فداء أسرى بدر، ـ وكان إذ ذاك مشركاً ـ، سمع النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٧]، قال: (كاد قلبي أن يطير) ـ رواه البخاري[1] ـ وكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبه.

وقد استدل بصراحة العقل، خطيب العرب في الجاهلية، قس بن ساعدة الإيادي، فقال: «البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أفلا تدل على الصانع الخبير».

٣ الحس المشهود

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، وله صور متنوعة، منها: آيات النبيين، وكرامات الأولياء والصالحين، وإجابة الداعين.

قال تعالى عن نبيه نوح ﷺ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤﴾ [القمر: ١٠ ـ ١٤]. وقال: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۝٦٣ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ۝٦٤ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ

(١) برقم (٣٠٥٠)، (٤٠٢٣)، (٤٨٥٤).

أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الشعراء: ٦٣ ـ ٦٧]. وقال تعالى عن نبيِّه عيسى ﷺ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩]. وجرى أمثال ذلك لنبينا محمد ﷺ؛ فعن أنسِ بنِ مالك ﷺ: أن رجلاً دخلَ المسجدَ يومَ الجُمُعَةِ من بابٍ كان نحوَ دارِ القضاءِ، ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يخطبُ، فاستقبلَ رسولَ اللهِ ﷺ قائماً، ثم قال: يا رسولَ الله، هلكتِ الأموالُ، وانقطعتِ السبُلُ، فادعُ اللهَ يُغيثُنا، فرفعَ رسولُ الله ﷺ يديه، ثم قال: «**اللهمَّ أغِثنا، اللهمَّ أغِثنا، اللهمَّ أغِثنا**»، قال أنسٌ: ولا واللهِ ما نرى في السماء من سحابٍ، ولا قَزَعَةٍ، وما بيننا وبين سَلْعٍ من بيتٍ ولا دارٍ، قال: فطلعتْ من ورائهِ سحابةٌ مثلُ التّرسِ، فلمَّا توسَّطتِ السماءَ انتشرتْ، ثُمْ أمطرَتْ، فلا واللهِ ما رأينا الشمسَ سَبْتاً، ثم دخل رجلٌ من ذلك البابِ في الجُمُعَةِ، ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يخطِبُ، فاستقبلَه قائماً، فقال: يا رسولَ اللهِ، هلكتِ الأموالُ، وانقطعتِ السبُلُ، فادعُ اللهَ يُمسِكُها عنَّا. قال: فرفعَ رسولُ الله ﷺ يديه، ثم قال: «**اللهمَّ حوالينا ولا علينا، اللهمَّ على الآكامِ والظِّرابِ، وبُطونِ الأوديةِ، ومنابتِ الشجرِ**» قال: فأقلعتْ، وخرجنا نمشي في الشمس. متفق عليه[1].

وقال الله ﷻ على سبيل العموم: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠١٤)؛ ومسلم برقم (٨٩٧). قوله: (قَزَعة) أي: سحاب متفرق. وقوله: (سَلْع): هو جبل معروف بالمدينة، وقوله: (مثل التُّرس) أي: مستديرة. قال القرطبي: (وتشبيه السحابة بالترس، في كثافتها واستدارتها). انظر: المفهم (٢/ ٥٤٣)، وفتح الباري، لابن حجر (٣/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣).

فآيات المرسلين، وإجابة الداعين، وغوث المكروبين، أدلة محسوسة، أدركها فئام من الناس، تشهد بوجود مرسِلهم، ومجيبهم، ومغيثهم، سبحانه، شهادة يقين.

٤ الشرع الصحيح

وهو ناطق الكتاب وصحيح السنة.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧]. وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١]، فما تضمنه القرآن العظيم من الأخبار الغيبية المتحققة، والعقائد الصحيحة، والشرائع العادلة، والأخلاق القويمة، دليل على أن ذلك من عند الله، ولا يمكن أن يكون من عند غيره من المخلوقين.

ولهذا لم ينكر وجود الله، حقيقة، أحد من بني آدم. وإنما تظاهر بذلك أصناف من الملاحدة، قديماً، وحديثاً، مثل:

١ الدهريون

وهؤلاء هم الفلاسفة الدهرية القائلون بقِدَم العالَم وخلوده، ويُشابههم في هذا العصر مَن يُسمون (الملاحدة الجدد).

والدهريون هم القائلون: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]، فيزعمون أن العالم يسير بنفسه، وأنه لم يزل، ولا يزال! ويقولون: بطون تدفع،

وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر! فعطَّلوا المخلوقات عن خالقها. وقد ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ لا من عقل، ولا نقل، ولا حس، ولا فطرة، بل محض تخرُّص، وتوهُّم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

٢ الطبائعيون

القائلون إن العالم وجد بفعل (الطبيعة)، أي أن ذوات الأشياء؛ من نبات، أو حيوان، أو جماد، وخصائصها، أوجدت نفسها، وحركاتها! والرد عليهم بَدَهي: وهو أنه يمتنع أن يكون الشيء خالقاً، ومخلوقاً، في آن واحد. قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥].

والطبيعة التي يُسندون إليها الإيجاد، جملة جمادات؛ صمَّاء، عمياء، بكماء، لا مشاعر لها وأحاسيس، فكيف تنشئ مخلوقاتٍ حية؛ تسمع، وتبصر، وتنطق، وتحس، وتشعر بالألم والأمل؟! ففاقد الشيء لا يعطيه.

٣ الصُّدْفيون

القائلون بأن الكائنات نشأت عن طريق المصادفة المحضة، بمعنى أن تَجمُّع الذرات، والجزيئات، أدى عن طريق الصدفة إلى ظهور الحياة، وتكوُّنِ المخلوقات المتنوعة، بلا تدبير ولا إحكام مسبق! ومجرَّد تصور هذه الدعوى يكفي لإسقاطها وتهافتها. فإن دقة الخلق، ونظامه البديع، واستمراره على سنن مطَّردة، وتوازن مُحكم، يمنع دعوى الصدفة. قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

٤ الشيوعيون

وهم أتباع (كارل ماركس)، القائلون: «لا إله، والحياة مادة».

ولما أسسوا دولتهم: (الاتحاد السوفييتي) على هذا الجرف الهاري، والاعتقاد الباطل، انهارت في زمن قصير، وتفككت إلى دويلات متعددة.

٥ أفراد شواذ، على مر التاريخ

كفرعون الذي تظاهر بإنكار الرب فقال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، ثم ادّعى ذلك لنفسه، فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ثم تمادى فادعى لنفسه الألوهية، فقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وتوعّد موسى ﷺ، فقال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، وكالنمرود الذي حاجَّ إبراهيم في ربه: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وكل هؤلاء، مناقضون لأنفسهم، متنكرون لفطرهم، كما شهد الله بذلك عليهم، بقوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤]. ولهذا لم تقم لهم قائمة، ولم تبق لهم باقية.

ثانياً الإيمان بربوبيته

هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى وحده، هو الرب؛ الخالق، المالك، الآمر. ومعنى الرب: السيد، المالك، المتصرف، الذي ربى

جميع العالمين بنعمه. قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٤٩ ـ ٥٠].

فمدار الربوبية على ثلاثة أمور:

١ الخلق

فالله خالق كل شيء، وما سواه مخلوق. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىۡءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. وكل خلق أضيف إلى غيره فهو خلق نسبي؛ بمعنى التشكيل، والتأليف، والتقدير، لا الإنشاء من العدم كقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

٢ الملك

فالله المالك، وما سواه مملوك. قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٠٧﴾ [البقرة: ١٠٧]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ۝١٨٩﴾ [آل عمران: ١٨٩]، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِى ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلۡمُلۡكِ﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]. وكل ملك أضيف إلى أحد سواه، فهو ملك نسبي، مؤقت، جزئي، كما في قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [غافر: ٢٩]، وقوله: ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾ [النساء: ٣]. وأما الملك التام المطلق فهو لله ﷻ وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ۝٤٠﴾ [مريم: ٤٠].

٣) الأمر

فالله الآمر، وما سواه مأمور. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقال لنبيه ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فكيف بمن دونه. وقال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]. فهو الآمر وحده في خلقه، وما أضيف إلى غيره من أمر، كقوله: ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]، فهو أمر نسبي، داخل تحت مشيئته؛ إن شاء أمضاه، وإن شاء منعه.

وأمره، سبحانه، يشمل الأمر الكوني والشرعي؛ فأما الكوني فنافذ لا محالة، وهو مرادف للمشيئة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، وأما الشرعي فهو محل الاختبار، وهو مرادف للمحبة؛ فقد يقع، وقد لا يقع. وكل ذلك داخل في عموم مشيئته، كما قال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨ ـ ٢٩].

وبقية صفات ربوبيته، سبحانه، ترجع إلى هذه الأمور الثلاثة؛ الخلق، والملك، والأمر، كالرِّزق، والإحياء، والإماتة، وإنزال الغيث، وإنبات الأرض، وتصريف الرياح، وإجراء الفلك، وتعاقب الليل والنهار، والحمل، والوضع، والصحة، والمرض، والعز، والذل، وغيرها.

وهذا الإيمان بربوبيته، سبحانه، مركوز في الفطر، مدرك ببداهة العقول، محسوس في الكون، موفور في النصوص. ومن دلائل ذلك في كتاب الله:

○ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة: ١٦٤].

○ ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)﴾ [آل عمران: ٢٧].

○ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)﴾ [الأنعام: ٩٥ ـ ٩٩].

○ ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)﴾ [الرعد: ٢ ـ ٤].

○ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٤ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾

[النحل: ٣ ـ ١٨].

○ ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ۝١٧ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ

ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون: ١١ ـ ٢٢].

○ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: ٤٣ ـ ٤٥].

○ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٥ ـ ٥٤].

○ ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ

أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ١٧ ـ ٢٧].

○ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٢٥].

○ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ: ٦ ـ ١٦].

○ ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٣].

○ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٣٢].

وعامة بني آدم مُقِرُّون، من حيث الجملة، بربوبية الله تعالى؛ بأنه الخالق، المالك، المدبر، حتى مشركي العرب، حكى الله عنهم هذا الإقرار، في مواضع من كتابه، كقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩].

وإنما وقع في هذا الباب ضلال جزئي، من قبل طوائف متعددة، حيث أشركوا في الربوبية، مثل:

(١) الثنوية من المجوس، والمانوية: القائلون إن للعالم خالقين: إله النور؛ يخلق الخير، وإله الظلمة؛ يخلق الشر! وهم متفقون على أن النور خير من الظلمة، ومختلفون في الظلمة؛ هل هي قديمة، أم محدثة؟

(٢) النصارى: القائلون بالتثليث؛ فيجعلون الإله الواحد، بزعمهم، ثلاثة أقانيم: الأب، والابن، وروح القدس.

ولكنهم لم يثبتوا للعالَم ثلاثة أرباب ينفصلُ بعضهم عن بعض، بل مُتفقون على أنَّ صانعَ العالَمِ واحدٌ.

(٣) مشركو العرب: الذين يعتقدون لآلهتهم شيئاً من النفع والضر، والتدبير، ويستقسمون بالأزلام.

(٤) القدرية النفاة: القائلون: «العبد يخلق فعل نفسه» خلقاً مستقلاً عن الله.

وكل هذه الضلالات مدفوعة بدلالة الفطرة، والعقل، والحس، والشرع على وحدانية الرب سبحانه في خلقه، وملكه، وأمره. قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١]. فالإله الحق لا بد أن يكون خلّاقاً، فعالاً لما يريد، فلو كان معه شريك لكان يخلق ويفعل! وحينئذ لا يخلو الحال من أحد احتمالين:

➢ إما أن يذهب كل إله بخلقه، ويستقل بسلطانه: وهذا الاحتمال يأباه انتظام العالم.

➢ وإما أن يقع بينهما مغالبة واستعلاء: فلو أراد أحدهما تحريك جسم، وأراد الآخر تسكينه، أو أراد أحدهما إحياء شيءٍ، وأراد الآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد أيٍّ منهما. والأول والثالث ممتنعان؛ لأنهما نقيضان؛ لا يجتمعان، ولا يرتفعان، فتعين الثاني؛ فمن حصل مراده فهو الإله القادر، والآخر لا يصلح للإلهية. فآل الأمر إلى إثبات ربٍّ واحد؛ خالقٍ واحد، وملكٍ واحد، ومدبر واحد.

وهذا ما يُعرف بدليل التمانع.

ثالثاً الإيمان بألوهيته

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو الإله الحق، المستحق للعبادة دون ما سواه.

فإن معنى (الإله): المألوه؛ أي: المعبود، الذي تألهه القلوب محبةً، وتعظيماً. وحقيقة العبادة: كمال المحبة، مع كمال التذلل، والخضوع، والتعظيم. وذلك لا يكون إلا للإله الواحد. وقد جاءت بهذا الإيمان أعظم شهادة، من أعظم شاهد، في أعظم مشهود به، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقد خلق الله جميع خلقه؛ إنسهم، وجنَّهم، لعبادته وحده، مع كمال غناه عنهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٧]. وبعث جميع رسله إلى الناس ليحققوا هذا الإيمان، ويدعونهم إلى إفراده بالعبادة، ونبذ الشرك. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فبادؤوا أقوامهم بالقول: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وتحقيق هذا الإيمان يقتضي صرف جميع أنواع العبادات لله وحده، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر. وهي أصناف:

١ العبادات القلبية:

كالمحبة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، والخوف، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]،

والرجاء، قال تعالى: ﴿أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. وهذه الثلاث هي أمهات العبادات القلبية، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]. ولا يقتصر على بعضها دون بعض، فمن عَبَدَ الله بالخوف وحده، فهو: (حروري) ومَن عَبَدَ الله بالرجاء وحده، فهو: (مرجئ)، ومن عَبَدَ الله بالحب وحده، فهو: (زنديق)، ومَن عَبَدَ الله بالحب والخوف والرجاء، فهو: (الموحد الحنيف).

وصلاح القلب أصل صلاح الجسد، كما في الحديث: «**ألا وإنَّ في الجسد مضغةً؛ إذا صلحتْ صلحَ الجسدُ كلُّهُ، وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كُلُّهُ، ألا وهيَ القلبُ**». متفق عليه[1].

٢) العبادات القولية:

كالدعاء، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، والاستعاذة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾ [الناس: ١]، والاستغاثة، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، والذكر بأنواعه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب: ٤١]، والتلاوة، قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وعموم الكلم الطيب، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وغيرها.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢)؛ ومسلم برقم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

٣) العبادات البدنية:

كالصلاة والنحر، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: ٢]، والطواف، قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، وإماطة الأذى عن الطريق، قال ﷺ في خصال الإيمان: **«وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق»**(١)، وغيرها.

٤) العبادات المالية:

كالنفقات التعبدية؛ من زكوات، وصدقاتٍ، ووصايا، وأوقاف، وهبات، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [التوبة: ٩٩]، وإطعام الطعام، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ٩].

والإيمان بألوهية الله ﷻ لازم الإيمان بربوبيته ومقتضاه. فمن أقر بأن الله هو الخالق، المالك، المدبر، لزمه أن يقر بألوهيته، ويفرده بالعبادة. وقد أقام الله الحجة على المشركين بهذا الإقرار، في مواضع متعددة من كتابه، مثل:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

○ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١ ـ ٢٢].

○ ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ [يونس: ٣١ ـ ٣٢].

○ ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٣ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾ [النمل: ٥٩ ـ ٦٤]، فأقام تعالى الحجة عليهم بتوحيد الألوهية بإقرارهم بتوحيد الربوبية.

○ كما أنه سبحانه أبطل ألوهية آلهة المشركين بكونها لا تتصف بشيء من صفات الربوبية. قال تعالى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ

﴿أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨﴾ [الأعراف: ١٩١ ـ ١٩٨].

○ وقال: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ٣﴾ [الفرقان: ٣].

○ وقال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣].

ولهذا كان الشرك في عبادة الله تعالى:

١ ـ أظلم الظلم: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]، لأنه تنقُّص لربِّ العالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غيره به، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

٢ ـ أكبر الكبائر: قال النبي ﷺ: «ألا أُنبِّئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله» الحديث، متفق عليه[(١)].

٣ ـ أعظم الذنوب: سُئل النبي ﷺ: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نِدّاً وهو خَلَقَك» متفق عليه[(٢)].

٤ ـ انتكاس في الفطرة، وتردٍّ في الضلالة: قال تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٤)؛ ومسلم برقم (٨٧) من حديث أبي بكرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٤٧٧)؛ ومسلم برقم (٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، وفيهما أن ابن مسعود ﷺ السائل.

﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وقد رتَّب الله تعالى على الشرك، لعظم بشاعته، أحكاماً دنيوية وأخروية، منها:

١ عدم الغفران

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

٢ تحريم الجنة، والخلود في النار

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

٣ حُبوط جميع الأعمال

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

٤ سقوط عظمة الدم والمال

قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة: ٥]، وقال ﷺ: «أمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولُوا: لا إله إلا اللهُ، فمن قالها فقد عصمَ منّي مالَه ونفسَه إلا بحقه، وحسابُه على الله». متفق عليه(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٩٩)؛ ومسلم برقم (٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه البخاري أيضاً برقم (٢٥)؛ ومسلم برقم (٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بزيادة ذكر الصلاة والزكاة.

وقد ضل في هذا الباب طوائف من بني آدم، منهم:

١ عُبّاد الأوثان

على اختلاف معبوداتهم؛ من شجر، وحجر، وإنس، وجن، وملائكة، وكواكب، وحيوانات، مما أغواهم به الشيطان.

٢ القبوريون

الذين يدعون المقبورين، ويقدمون لهم النذور والقرابين، ويسألونهم جلب النفع، ودفع الضر.

٣ السحرة، والمشعوذون، والكُهّان

الذين يعبدون الجن لقاء ما يخبرونهم به، أو يحضرونه لهم، أو يصنعونه لهم.

ولعظيم خطر الشرك في العبادة، حذر النبي ﷺ من الأسباب الموصلة إليه، وسد الطرق المفضية إلى وقوعه. ومن أمثلة ذلك:

١ التحذير من الغلو في الصالحين

قال ﷺ: **«إياكم والغُلُوَّ، فإنما أهلك من كان قبلَكُمُ الغُلُوُّ في الدِّين»**. رواه أحمد والنسائي وابن ماجه[1]. وقال ﷺ: **«لا تُطْرُوني كما أطرت النصارى ابنَ مريم! فإنما أنا عبدُهُ، فقولوا عبدُ اللهِ ورسولُهُ»**. رواه البخاري[2].

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٨٥١) و(٣٢٤٨)؛ والنسائي برقم (٣٠٥٩)؛ وابن ماجه برقم (٣٠٢٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) برقم (٣٤٤٥) من حديث عمر رضي الله عنه.

ومن الغلو في الصالحين، التوسل بهم. والتوسل أنواع:

* **أحدها: توسل شركي مخرج من الملة:** وهو دعاؤهم من دون الله؛ بقضاء الحاجات، وكشف الكربات.

* **الثاني: توسل بدعي، لا يبلغ مبلغ الشرك:** وهو التوسل إلى الله بما لم يشرعه الله، كالتوسل بذوات الصالحين، أو جاههم، أو حقهم، أو حرمتهم، ونحو ذلك.

* **الثالث: توسل مشروع:** وهو التوسل بالإيمان بالله وطاعته، ودعائه باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته، أو بعملٍ صالح قدَّمه، أو طلب الدعاء من عبد صالح في شأنٍ عام.

وأما قول عمر ﷺ: «اللهمَّ إنا كُنَّا نتوسَّلُ إليكَ بنبيِّنا ﷺ، فتَسْقِينا، وإنَّا نتوسلُ إليكَ بعمِّ نَبِيِّنا فاسْقِنا». رواه البخاري[1]. فهو توسل بدعاء العباس، لقرابته من النبي ﷺ، لا بذاته، ولو كان التوسل بالذوات مشروعاً، لتوسلوا بالنبي ﷺ ولو بعد وفاته.

٢ التحذير من الافتتان بالقبور

ومن صور ذلك:

➢ اتخاذها مساجد: فعن عائشة ﷺ قالت: «لما نزلَ برسولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يطرحُ خميصةً له على وجهه، فإذا اغْتَمَّ كشفها. فقال، وهو كذلك: «لعنةُ اللهِ على اليهودِ والنصارى؛ اتَّخذُوا قُبُورَ أنبيائهم مساجدَ» يُحذِّرُ ما صنعُوا. ولولا ذلك لأبرز قبرُهُ، غيرَ أنه خَشيَ أن يُتخذَ مسجداً». متفق عليه[2]. وقال: «ألا، وإنَّ من كان قبلَكُم كانوا يتخذونَ قبورَ أنبيائهم

(١) برقم (١٠١٠) من طريق أنس ﷺ، عن عمر ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٣٥، ٤٣٦، ١٣٩٠)؛ ومسلم برقم (٥٢٩، ٥٣١).

وصالِحِيهم مساجدَ، ألا فلا تتخذُوا القبور مساجدَ، إنِّي أنهاكُم عن ذلك». رواه مسلم[١]. ومعنى اتخاذها مساجد: أي قصد الصلاة عندها، وإن لم يبن عليها مسجد، فإن المسجد هو موضع السجود.

> البناء عليها، وأن يزاد عليها غير ترابها، وتجصيصها: عن أبي الهَيَّاجِ الأسَدي ﵀ قال: «قال لي عليُّ بنُ أبي طالب ﵁: **ألا أبعثُكَ على ما بعثني عليه رسولُ اللهِ ﷺ؛ ألا تدعَ تمثالاً إلا طمستَهُ، ولا قبراً مُشْرِفاً إلا سَوَّيْتَهُ**». رواه مسلم[٢]. وعن جابر بن عبد الله ﵁ قال: **نهى رسولُ الله ﷺ أن يُجَصَّصَ القبرُ، وأن يُقعدَ عليه، وأن يُبنى عليه**». رواه مسلم[٣]. فيدخل في ذلك عقد القباب عليها، وتزويقها، وزخرفتها.

> **شدُّ الرِّحال إليها**: لعموم قوله ﷺ: «**لا تُشدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجدِ الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد الأقصى**». متفق عليه[٤].

> اتخاذ قبره ﷺ عيداً: قال ﷺ: «**لا تجعلُوا قبري عيداً**». رواه أبو داود[٥]. والعيد: ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان.

٣ التحذير من مشابهة المشركين، وأهل الكتاب: في اعتقاداتهم، وعباداتهم، وعاداتهم، المختصة بهم

قال ﷺ: «**خالِفُوا المُشركينَ**» متفق عليه[٦]. وقال: «**خالِفُوا**

(١) برقم (٥٣٢) من حديث جُندُب ﵁.
(٢) برقم (٩٦٩).
(٣) برقم (٩٧٠).
(٤) أخرجه البخاري برقم (١١٨٩)؛ ومسلم برقم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة ﵁.
(٥) برقم (٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة ﵁.
(٦) أخرجه البخاري برقم (٥٨٩٢)؛ ومسلم برقم (٢٥٩) من حديث ابن عمر ﵄.

المجوسَ» رواه مسلم[١]. وقال: «خالِفُوا اليهودَ» رواه أبو داود[٢].

٤ التحذير من التصوير

فعن عائشة أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بالحبشة، وما فيها من الصور، فقال: «أولئكَ قومٌ إذا ماتَ فيهمُ الرجلُ الصالحُ، بنوا على قبره مسجداً، وصوَّرُوا فيه تلكَ الصورَ. أولئكَ شرارُ الخلقِ عندَ الله» متفق عليه[٣].

٥ التحذير من الألفاظ الشركية

ومن صور ذلك:

➢ الحلف بغير الله: لحديث: «من حلفَ بغيرِ الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي[٤].

➢ التسوية في المشيئة: لقوله لمن قال له: ما شاء الله وشئت: «أجعلتني لله عِدْلاً! قل: ما شاء الله وحده» رواه النسائي[٥].

➢ قول: مُطرنا بنَوء كذا: لقوله في الحديث القدسي: «وأما مَن قال: مُطِرْنا بنَوءِ كذا وكذا، فذلكَ كافرٌ بي، ومؤمنٌ بالكوكبِ» متفق عليه[٦]. ويُقاس عليه كل قول يتضمن نسبة التدبير لغير الله تعالى.

---

(١) برقم (٢٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) برقم (٦٥٢) من حديث شدّادِ بن أوس رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٣٤)؛ ومسلم برقم (٥٢٨) واللفظ للبخاري.
(٤) أخرجه أبو داود برقم (٣٢٥١)؛ والترمذي برقم (١٥٣٥) واللفظ له، كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٥) في السنن الكبرى برقم (١٠٧٥٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٦) أخرجه البخاري برقم (٨٤٦)؛ ومسلم برقم (٧١) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

٦ التحذير من الأعمال المفضية إلى الشرك

ومن صور ذلك:

➢ لبس الحلقة أو الخيط، في اليد، أو العنق، بقصد دفع البلاء أو رفعه: لحديث عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقةً من صُفْرٍ، فقال: «ويحكَ ما هذه؟»، قال: من الواهِنة. قال: «انْزِعْهَا! فإنها لا تزيدُك إلا وَهْناً، فإنك لو مِتَّ وهي عليكَ ما أفلحتَ أبداً» رواه أحمد، وابن ماجه، وابن حبان[١].

➢ تعليق التمائم، والودع، والأوتار، والقلائد، لدفع العين: لحديث: «مَن تعلَّقَ تميمةً فلا أتمَّ اللهُ له، ومن تعلَّقَ وَدعةً فلا وَدَّعَ اللهُ له» رواه أحمد وابن حبان والحاكم[٢]. وفي رواية عند أحمد، والحاكم: «مَن عَلَّقَ تميمةً فقد أشرك»[٣]، ولحديث: «لا تُبْقَيَنَّ في رقبةِ بعيرٍ قِلادةٌ من وَتَرٍ ـ أو قِلادةٌ ـ، إلا قُطِعَتْ» متفق عليه[٤].

➢ الرُّقى والعزائم الشركية، والتِّوَلة: لحديث: «إن الرُّقَى، والتَّمائِمَ، والتِّوَلَةَ، شِرْكٌ» رواه أبو داود وابن ماجه[٥]. والتولة: شيءٌ يصنعونه، يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها.

➢ الذبح في مواضع الشرك: لقوله ﷺ لما سأله رجل نذر أن ينحر

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٠٠٠٠)؛ وابن ماجه برقم (٣٥٣١)؛ وابن حبان في صحيحه برقم (٦٠٨٥).

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٧٤٠٤)، وابن حبان برقم (٦٠٨٦)، والحاكم في المستدرك برقم (٧٧٠٨) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد برقم (١٧٤٢٢)؛ والحاكم في المستدرك برقم (٧٧٢٠) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٥)؛ ومسلم برقم (٢١١٥) من حديث أبي بَشير الأنصاري رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود برقم (٣٨٨٣)؛ وابن ماجه برقم (٣٥٣٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

إبلاً بِبُوانة: «هل كان فيها وثنٌ من أوثانِ الجاهلية يُعبد؟» قالوا: لا. قال النبي ﷺ: «هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟» قالوا: لا. قال النبي ﷺ: «أوفِ بنذرِكَ» رواه أبو داود(١).

➢ التطير والتشاؤم: لحديث ابن مسعود ﷺ: مرفوعاً: «الطِّيَرَةُ شركٌ، الطِّيَرَةُ شركٌ» رواه أبو داود وابن ماجه(٢).

وبالجملة، فكل من أثبت سبباً لم ينصبه الله سبباً، لا حساً ولا شرعاً، فقد وقع في الشرك، أو تطرّق إليه.

رابعاً | الإيمان بأسمائه وصفاته

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وإثبات ما أثبت لنفسه في كتابه، أو أثبته له نبيه في سنته، من صفات الكمال، ونعوت الجلال، من غير تمثيل ولا تكييف، ونفي ما نفاه عن نفسه في كتابه، أو نفاه عنه نبيه في سنته، من صفات النقص، والعيب، ومماثلة المخلوقين، من غير تحريف، ولا تعطيل.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأسماؤه وصفاته، سبحانه، توقيفية، لا يستقل العقل وحده بإثباتها، لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث. فما سكت الله عنه ورسوله من الأوصاف،

---

(١) برقم (٣٣١٣) من حديث ثابت بن الضحاك ﷺ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٢١٣٠) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٣٩١٠)، وابن ماجه برقم (٣٥٣٨).

فالواجب السكوت عنه، والتوقف فيه نفياً وإثباتاً، والاستفصال عن مراد قائله؛ فإن أراد معنى صحيحاً: قُبل المعنى، ورُد اللفظ، وإن ذكر معنى فاسداً: رُد اللفظ والمعنى. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وأسماء الله تعالى قد بلغت من الحسن غايته، وهي أعلام على ذاته، وأوصاف له، سبحانه. وصفاته كاملة، لا نقص فيها بوجه من الوجوه. قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

وهي حق على حقيقتها، فيجب إجراؤها على ظاهرها، دون تحريف. ويحرم الإلحاد فيها؛ بتعطيل، أو تمثيل، أو ابتداع أسماء لم يسم بها نفسه، أو اشتقاق أسماء للأصنام من أسمائه سبحانه؛ كاللات، من الإله، والعزى، من العزيز، ومناة، من المنان.

ويجب دعاؤه بها؛ دعاء مسألة، ودعاء عبادة. وينبغي إحصاؤها، وفهم معانيها، والتفكر في آثارها، والعمل بمقتضاها. وذلك أشرف العلوم.

وتنقسم صفات الله تعالى باعتبار تعلقها به سبحانه إلى:

١ صفات ذاتية

وهي الملازمة لذاته المقدسة؛ كالحياة، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والإرادة، والحكمة، والقوة، وغيرها.

٢ صفات فعلية

وهي المتعلقة بمشيئته وحكمته؛ يفعلها إذا شاء، كيف شاء، بما تقتضيه حكمته؛ كالاستواء، والنزول، والمحبة، والبغض، والفرح،

والعَجَب، والضحك، والمجيء، وغيرها مما جاء في القرآن، أو صحت به السنة.

ويقال عن بعضها، كصفة الكلام: ذاتية، فعلية، فهي ذاتية باعتبار أصل الصفة، وفعلية باعتبار آحادها وأفرادها، أو يقال: قديم النوع، حادث الآحاد.

ويقال عن بعضها، صفات خبرية: وهي ما كان سبيل إثباتها الخبر المجرد، دون العقل: كالوجه، واليدين، والعينين، والقدم، وغيرها مما صح به الخبر.

ومن صفات الله تعالى، الثابتة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع:

١ صفة العلو

وهو ثلاثة أنواع: ١ ـ علو القدر: أي: أن له سبحانه من كل صفة كمال أكملها وأتمها وأعلاها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]. ٢ ـ علو القهر: أي: أن الله تعالى له العزة والقوة والغلبة والامتناع على جميع خلقه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]. ٣ ـ علو الذات: أي: أن الله تعالى بذاته فوق سماواته، مستو على عرشه، بائن من خلقه، ليس فيه شيء من خلقه، ولا في خلقه شيء منه، سبحانه وبحمده، قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]. وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ سأل الجارية، فقال لها: «أينَ اللهُ؟»، قالت: في السماء. قال: «من أنا؟»، قالت: أنت رسولُ الله. قال: «أعتقها، فإنها مؤمنة»[1]. وقد تضافرت أدلة الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

على إثبات هذا النوع، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر. والعلو صفة ذاتية.

٢ صفة الاستواء

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، في ستة مواضع في القرآن الكريم، وسابعها: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. والاستواء: هو علو الله على عرشه بعد خلق السماوات والأرض، علوًّا يليق بجلاله وعظمته، لا يماثل استواء المخلوقين. والاستواء صفة فعليه.

٣ صفة الكلام

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وصفة الكلام: هي أن الله تعالى يتكلم بكلام حقيقي، مسموع، بحروف وأصوات لا يماثل كلام المخلوقين. وأنه يتكلم متى شاء، بما شاء، كيف شاء، صدقاً، وعدلاً، بكلمات لا تنفد، لم يزل، ولا يزال متكلماً سبحانه. فهو صفة ذاتية باعتبار أصله، وصفة فعلية باعتبار آحاده وأفراده.

فجميع هذه الأنواع من الصفات حق على حقيقتها. فيجب إثباتها، وإمرارها، كما جاءت، وإجراؤها على ظاهرها، دون تحريف ولا تعطيل، ودون تمثيل ولا تكييف. وذلك مطَّرد في جميع الصفات، فالقول في بعض الصفات كالقول في الباقي، سواءً بسواء. ومن فرَّق فقد تحكَّم بغير دليل.

وقد ضلَّ في باب أسماء الله وصفاته طوائف من أهل القبلة، وهم:

١ أهل التمثيل

الذين بالغوا في الإثبات حتى وقعوا في التمثيل. وشبهتهم أنِ ذلك مقتضى النصوص؛ لأن الله خاطب الناس بما يعهدون في المخلوقات!

* والرد عليهم، من وجوه:

> أولاً: أن الله نفى عن نفسه المثل، والكفؤ، والند، بآيات محكمة صريحة؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]، ولا يمكن أن يكون كلام الله متناقضاً.

> ثانياً: أن العقل السليم يأبى أن يكون الإله الخالق الكامل، كالعبد المخلوق القاصر. فكما أن ذاته لا تشبه الذوات، فصفاته لا تشبه الصفات.

> ثالثاً: أن الله خاطب العباد بما يفهمون، من حيث أصل المعنى. ولا يلزم من الاشتراك في المعنى الكلي المطلق، التماثل في الحقائق والكيفيات. فإذا كان اتفاق الأسماء بين المخلوقات نفسها، لا يوجب تماثلاً بينها، كلفظ السمع، والبصر، والقدرة، واليد، والوجه، فما بين الخالق والمخلوق من باب أولى.

٢ أهل التعطيل

الذين بالغوا في التنزيه حتى وقعوا في النفي، والتعطيل. وشبهتهم أن إثبات الصفات يستلزم التمثيل، لكون تلك الصفات مما يتصف به

المخلوق، فيتعين نفيها عن الخالق! فأثبتوا لله وجوداً مطلقاً غير مقيد بصفة، فأشدهم تعطيلاً القرامطة الباطنية الذين نفوا عنه النقيضين، ثم الجهمية الذين أنكروا الأسماء والصفات، ثم المعتزلة الذين أثبتوا الأسماء وأنكروا ما تضمنته من صفات.

* والرد عليهم، من وجوه:

< أولاً: أن الله تعالى أثبت لنفسه الصفات في آيات محكمة، صريحة، مفصلة، وذكرها مقرونة بنفي التمثيل، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ولا يمكن أن يكون كلام الله متناقضاً.

< ثانياً: أن إثبات وجود مطلق، لا يقبل الاتصاف بوصف، لا حقيقة له في الأعيان، وإنما هو قضية في الأذهان فحسب. فمقالتهم تؤول إلى إنكار الخالق.

< ثالثاً: أن الوصف بالألفاظ العامة، المطلقة، الكلية، في معين، لا يلزم أن يكون هو بعينه ثابتاً في معين آخر، بل كلاًّ منهما يكون فرداً من أفراد ذلك الوصف العام؛ لأن الصفة إذا قيدت، أو أضيفت، زال الاشتراك في الخارج.

٣ أهل التأويل

الذين اعتقدوا أن بعض نصوص الصفات؛ كالصفات الفعلية والخبرية، لا تدل على صفة حقيقية لله تعالى، فطفقوا يبحثون عن معاني أخرى يحملون النصوص عليها، بلا دليل صحيح يسوِّغ لهم صرف الكلام عن ظاهره، إلى خلاف الظاهر، مسمِّين تحريفهم هذا تأويلاً!

* والرد عليهم، من وجوه:

➢ أولاً: أن الله تعالى أعلم بنفسه، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً، من خلقه. ورسوله ﷺ، أعلم بربه، وأصدق لساناً، وأفصح بياناً، وأنصح الأمة للأمة. فكيف يستدرك أحد على الله ورسوله، ويجعل كلامهما مدعاةً للتلبيس والضلال.

➢ ثانياً: أن الأصل في الكلام حمله على حقيقته. ولا يصح تأويله إلا بدليل صحيح يقتضي صرفه عن ظاهره إلى مجازه. ولا دليل.

➢ ثالثاً: أن النبي ﷺ قد بيَّن للناس ما نُزِّل إليه من ربهم، وبلَّغ البلاغ المبين، فلا يمكن أن يهمل ﷺ هذا الباب العظيم دون بيان المراد الذي ادَّعاه هؤلاء المحرفون من المعاني المخترعة!

٤ أهل التجهيل

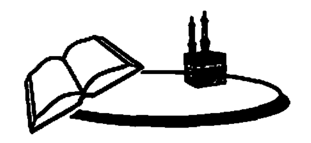
الذين اعتقدوا أن معاني ما أخبر الله به عن نفسه، أو أخبر بها رسوله مجهولة المعنى، لا يعلمها إلا الله، ولا سبيل لأحد إلى العلم بها! ويسمون طريقتهم (التفويض).

* والرد عليهم، من وجوه:

➢ أولاً: أنه يمتنع أن يكون باب العلم بالله، الذي هو أشرف أبواب الدين موصداً، فلا عقل ولا نقل يدلان عليه!.

➢ ثانياً: أن الله تعالى أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وأمر عباده بتعقله، وتدبر معانيه، ولم يستثن شيئاً. فدل على إمكان العلم بالمعاني، وأما الكيفيات والحقائق فإنها من الغيبيات التي يفوض علمها إلى الله.

➢ ثالثاً: أن هذا المسلك يقتضي تجهيل السابقين الأولين، من سلف هذه الأمة، ووصفهم بأنهم بمنزلة الأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وأن آيات الصفات في حقهم بمنزلة الطلاسم، وحروف المعجم التي لا تفيد معنى معقولاً.





الإيمان بالملائكة

هو الاعتقاد الجازم أن الله خلق خلقاً لعبادته، وأخلصهم لطاعته، وخصّهم بقربه، وأسكنهم سماواته، ومنحهم القوة على تنفيذ أمره.

ولا يتم الإيمان بالملائكة إلا بالاعتقاد:

أولاً أنهم عباد مكرمون، بررة مقرَّبون، خاضعون لربهم، مشفقون

فليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٨]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠]، وقال: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وقال: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٦]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١]، وقال: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٢].

ثانياً أنهم مُسمّون بأسماء كريمة

فمن علمنا اسمه منهم آمنا به باسمه، ومن لم نعلم اسمه فإنا نؤمن به إجمالاً. ومما نعلمه من أسماء الملائكة الكرام: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ومالك، ورضوان، ومنكر ونكير، كما جاء في القرآن وصحيح السنة.

ثالثاً أنهم مخلوقون من نور، أولو أجنحة، على هيئات عظيمة، متنوعة

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فاطر: ١]. وقال ﷺ: «**خُلقتِ الملائكةُ من نور**» رواه مسلم[١]. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ: «**رأى جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق**»[٢].

وقال ﷺ: «**أُذِن لي أن أُحدِّثَ عن مَلَكٍ من ملائكةِ الله تعالى من حَمَلةِ العرشِ، إنَّ ما بين شحمةِ أُذُنِهِ إلى عاتقه، مسيرةُ سبعمائةِ عام**» رواه أبو داود[٣]. فهم خلق حقيقي، لا قوى معنوية كما زعم ذلك بعض المجازفين، وهم خلق كثير، لا يحصيهم كثرةً إلا خالقهم، ففي حديث أنس المتفق عليه في قصة المعراج: «**أن النبي ﷺ رُفع له البيت المعمور، في السماء السابعة، يصلي فيه كلَّ يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه، آخرَ ما عليهم**»[٤].

---

(١) برقم (٢٩٩٦) من حديث عائشة ﵂.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٢٣٤)؛ ومسلم برقم (١٧٧) من حديث عائشة ﵂، وأخرجه البخاري برقم (٣٢٣٢)؛ ومسلم برقم (١٧٤) من حديث ابن مسعود ﵁.

(٣) برقم (٤٧٢٧) من حديث جابر ﵁.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٧)؛ ومسلم برقم (١٦٢).

رابعاً أنهم صافُّون مسبِّحون

ألهمهم الله تسبيحه، وامتثال أمره، ومنحهم القوة على تنفيذه.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات: ١٦٤ ـ ١٦٦]، وقال: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: ٣٨]، ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

وعن حكيم بن حزام ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ في أصحابه، إذ قال لهم: «تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء؟ قال: إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه مَلَك ساجد أو قائم» رواه الطبراني، وقال الألباني: صحيح على شرط مسلم[1].

خامساً أنهم محجوبون عن المشاهدة

فهم عالم غيبي، لا يقعون تحت مدارك الحواس الإنسانية، في الحياة الدنيا، إلا لمن شاء الله، كرؤية نبينا ﷺ لجبريل على صورته التي خلقه الله عليها. وإنما يُرون في الآخرة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: ٢٢]، وقال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣]. ولكن الله أعطاهم القدرة على التحول والتشكل على هيئة الآدميين، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود: ٦٩ ـ ٧٠]،

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٣١٢٢)، وانظر: السلسلة الصحيحة، للألباني برقم (٨٥٢).

وقــال: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [هود: ٧٧ ـ ٧٨]، فكانوا عليهم السلام على صورة رجال. وكذلك حين أتى جبريل النبي ﷺ على صفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر. وكان يأتيه أحياناً على صورة دحية الكلبي رضي الله عنه.

سادساً أنهم موكلون بأعمال متنوعة

إلى جانب وظيفتهم الأساسية المستمرة؛ من عبادة الرب وتسبيحه. فمن ذلك:

(١) النزول بالوحي

وهي وظيفة جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢]، وقــال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤].

(٢) إنزال القطر وإنبات الأرض

وهي وظيفة ميكائيل؛ كما رواه أحمد أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: (لو قلتَ: ميكائيل الذي ينزلُ بالرحمة والنبات والقَطْرِ لكان)[1].

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٤٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرج الطبراني في المعجم الكبير برقم (١٢٠٦١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: «على أيّ شيء ميكائيل؟ قال: على النبات والقَطْر». وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد برقم (١٤٢١٢) ثم قال: (وفيه محمد بن أبي ليلى، وقد وثقه جماعة، ولكنه سيئ الحفظ، وبقية رجاله ثقات).

٣ النفخ في الصور

وهي وظيفة إسرافيل عليه السلام للصعق، والبعث. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

وهؤلاء الثلاثة: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، هم سادة الملائكة؛ لأن مهامهم تتعلق بالحياة؛ فجبريل موكّل بحياة القلوب، وميكائيل موكّل بحياة النبات، وإسرافيل موكّل بحياة الأبدان.

وأشرفهم جبريل عليه السلام، وهو روح القدس.

٤ حفظ بني آدم

قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١].

٥ حفظ أعمال بني آدم

قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧ ـ ١٨].

٦ تثبيت المؤمنين ونصرهم

قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

٧ قبض الأرواح

وهي وظيفة ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١]. وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

٨ سؤال الميت في قبره عن ربه، ودينه، ونبيه

والسائلان هما: منكر ونكير.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن العبدَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ وتولَّى عنه أصحابُهُ، وإنه ليَسْمعُ قرعَ نِعالِهم، أتاه مَلَكانِ فيُقْعِدانِهِ فيقولانِ: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجُلِ محمَّدٍ ﷺ؟ فأمَّا المُؤمنُ فيقولُ: أشهدُ أنَّه عبدُ الله ورسولُهُ، فيُقالُ له: انظر إلى مقعدِكَ من النارِ قد أبدلكَ اللهُ به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً، وأما المنافقُ والكافِرُ فيُقالُ له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ؟ فيقولُ: لا أدري، كنتُ أقولُ ما يقولُهُ الناسُ، فيُقالُ: لا دريتَ ولا تليتَ، ويُضربُ بمطارِقَ من حديدٍ ضربةً، فيصيحُ صيحةً يسمعُها مَن يليهِ غيرَ الثَّقلينِ» متفق عليه[1].

وفي لفظ عند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا قُبرَ الميتُ ـ أو قال: أحدُكُم ـ أتاه ملكانِ أسودانِ أزرقانِ، يُقالُ لأحدهما المُنكرُ، والآخرُ النكيرُ، فيقولانِ: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ؟...» الحديث[2].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٧٤)؛ ومسلم برقم (٢٨٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١٠٧١)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: (إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وفي ابن إسحاق، وهو العامري القرشي مولاهم، كلام لا يضر).

٩ العناية بالجنين

بنفخ الروح فيه، وكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسولُ اللهِ ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق ـ قال: «**إن أحدَكُم يُجمعُ خَلْقُهُ في بطن أُمِّهِ أربعين يوماً نُطفةً، ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلكَ، ثم يكونُ مُضغةً مثلَ ذلكَ، ثم يَبعثُ اللهُ ملَكاً ويُؤمرُ بأربعِ كلماتٍ، ويُقالُ له: اكتُبْ عملَهُ ورزقَهُ وأجلَهُ، وشقيٌّ أو سعيدٌ، ثمَّ يُنفخُ فيه الروحُ...**» الحديث[1].

١٠ خِزَانَةُ النار

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المدثر: ٣١]، وقال: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

١١ الاستغفار للمؤمنين، والدعاء لهم، وبشارتهم، وإكرامهم في الجنة

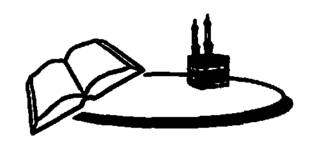
قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر: ٧ ـ ٩].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٨)؛ ومسلم برقم (٢٦٤٣) بدون ذكر النطفة، وقد أخرجه بها: أبو عوانة؛ كما في فتح الباري، لابن حجر (١٨٩/١٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].





الإيمان بالكتب

هو الاعتقاد الجازم أن الله تعالى أنزل على أنبيائه كتباً بالحق، هدى للناس، ورحمةً بهم، وموعظة لهم، وحجةً عليهم، وتبياناً لكل شيء.

والإيمان بها يقتضي أموراً:

أولاً: الإيمان بأنها منزلة من عند الله بالحق

قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران: ٣]. فهي كتب الله وكلماته، ليست كلام ملك مقرب، ولا نبي مرسل. فلها صفة العصمة والقداسة.

ثانياً: الإيمان بما علمنا اسمه منها تعييناً، وما لم نعلم اسمه نؤمن به إيماناً مجملاً

وأعظمها ثلاثة:

١) التوراة: التي أنزلها الله على موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا

سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤٤ ـ ١٤٥]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

٢) الإنجيل: الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧]، وقال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

٣) القرآن: الذي أنزله الله على محمد ﷺ

وهو أعظمها كلها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

ومن كتب الله: الزبور، الذي آتاه داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]، وصحف إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩].

ثالثاً: تصديق ما لم يُحرَّف من أخبارها

فقد أخبر تعالى أن كتب بني إسرائيل قد دخلها التحريف اللفظي والمعنوي، فقال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، وقال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١] وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ

وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨].

وأما القرآن العظيم فقد تكفل الله بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وصانه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢].

وتأسيساً على ذلك، فإن القصص والأخبار المذكورة في كتب أهل الكتاب، المسمَّاة اصطلاحاً (الإسرائيليات) لا تخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها: أن تكون موافقةً لما في القرآن

فنعتقد صحتها، لشهادة كتابنا لها؛ كذكر الطوفان، وقصة إبراهيم، ويوسف، وموسى، وإغراق آل فرعون، وآيات عيسى ﷺ، وغيرها، دون ما تضمنته من تفاصيل.

الثانية: أن تكون مخالفةً لما في القرآن

فنعتقد بطلانها، وأنها مما أحدثوه، وكتبوه بأيديهم، ولووا به ألسنتهم؛ كزعمهم أن لوطاً ﷺ شرب الخمر، وزنى بابنتيه! أكرمه الله، وحاشاه. وزعمهم أن عيسى هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة! تعالى الله عمَّا يقولون علوّاً كبيراً.

الثالثة: أن تكون غير موافقة ولا مخالفة

فلا نصدِّقها، ولا نكذبها، لقول النبي ﷺ: «إذا حدثكُم أهلُ الكتاب فلا تُصدِّقوهم، ولا تُكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله، وكتبه، ورسله. فإن كان حقاً لم تُكذبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدقوهم» رواه أحمد،

وأبو داود[١]. إلا إنه يجوز التحديث به، وحكايته، لقول النبي ﷺ: «حدِّثوا عن بني إسرائيلَ، ولا حرجَ» رواه البخاري[٢]. وغالبها مما لا فائدة فيه، ولا حاجة إليه.

رابعاً الحكم بشريعة القرآن

فإن الله أنزل القرآن العظيم مهيمناً على الكتب السابقة، أي: حاكماً، وأميناً، وشاهداً عليه. فاستوعب ما تضمنته من مصالح، ونسخ بعض أحكامها وأقر بعضها، وزاد عليها. فلا يحل اتباع شريعة غير شريعة القرآن، فقد قال تعالى، بعد ذكر التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٨ ـ ٥٠]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥].

خامساً الإيمان بالكتاب كله، وعدم تبعيضه

قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ

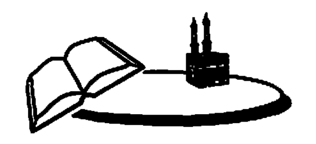
(١) أخرجه أحمد برقم (١٧٢٢٥)؛ وأبو داود برقم (٣٦٤٤) من حديث أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه.
(٢) برقم (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [آل عمران: ١١٩].

سادساً تحريم كتمانها، وتحريفها، والاختلاف فيها، وضرب كلام الله بعضه ببعض

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٤ - ١٧٦]، وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩].

وسمعَ النبيُّ ﷺ قوماً يَتَدَارؤُوْن، فقال: «**إنما هلكَ مَن كان قبلَكم بهذا، ضَرَبُوا كتاب الله بعضَه ببعض، وإنما نَزَلَ كتابُ الله يُصدِّقُ بعضُه بعضاً، فلا تُكذِّبوا بعضَه ببعضٍ، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتُم، فكِلُوه إلى عالِمِهِ**». رواه أحمد(١).



(١) برقم (٦٧٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.



الإيمان بالرسل

هو الاعتقاد الجازم أن الله تعالى اصطفى من الناس رجالاً، أوحى إليهم، وأرسلهم مبشرين، ومنذرين، يبلغون رسالاته إلى خلقه بعبادته وحده، واجتناب الطاغوت، رحمة بهم، وإقامةً للحجة عليهم.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج: ٧٥]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣]، وقال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ومما يدخل في الإيمان بالرسل:

أولاً: الإيمان بأن رسالتهم من عند الله، بمحض مشيئته، وحكمته

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣١ - ٣٢].

فالنبوة، والرسالة، لا تنالان بالرياضة، والمجاهدة، كما يزعم بعض زنادقة الصوفية، كما لا تثبت باجتماع القوى القدسية، والتخيلية، والتأثيرية، كما يزعم الفلاسفة، بل هي محض اصطفاء، وفضل من الله، لمن علمه أهلاً لها من كرام خلقه.

ثانياً الإيمان برسل الله جميعاً، من علمنا اسمه تعييناً، ومن لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً

فممن علمنا اسمه، منهم: المذكورون في قوله تعالى ـ بعد ذكر إبراهيم عليه السلام ـ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٤ ـ ٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ﴾ [غافر: ٧٨].

فالواجب الإيمان بهم جميعاً؛ لأن دعوتهم واحدة، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]. فالكفر بواحد منهم كفر بجميعهم، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥]، مع أنه أول الرسل. فلا يجوز التفريق بين رسل الله، ولا الإيمان ببعضهم دون بعض، فمن فعل ذلك فقد كفر. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

ثالثاً | تصديقهم، وقبول ما أخبروا به عن الله

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [النساء: ١٧٠]، وقال: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣]، وقال: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم: ١ ـ ٥].

فكل ما صح من أخبار الأنبياء السابقين، مما أثبته الله في كتابه، أو صح عن نبيه ﷺ في سنته، وجب تصديقه. وأما ما يؤثر عنهم في الإسرائيليات، فيجري عليها ما تقدم تفصيله في الإيمان بالكتب. وأما ما رفع إلى نبينا محمد ﷺ من روايات مسندة، فتجري عليها قواعد المحدثين، لمعرفة صحيحها من سقيمها. فما صح وجب قبوله والإيمان به.

رابعاً | طاعتهم، واتباعهم، والتحاكم إليهم

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ٦٤]، فالواجب على كل أمة أن تطيع نبيها الذي بُعث فيها، وتتبعه. ولما كان آخرهم، وخاتمهم، محمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كانت شريعته ناسخة لما سبقها من الشرائع، وطاعته، واتباعه، متعينة على كل من سمع به.

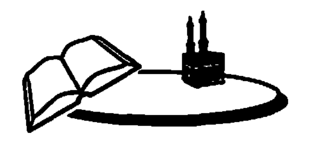
قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧ ـ ١٥٨]. وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣١ ـ ٣٢]، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

خامساً: موالاتهم، ومحبتهم، وتوقيرهم، والسلام عليهم

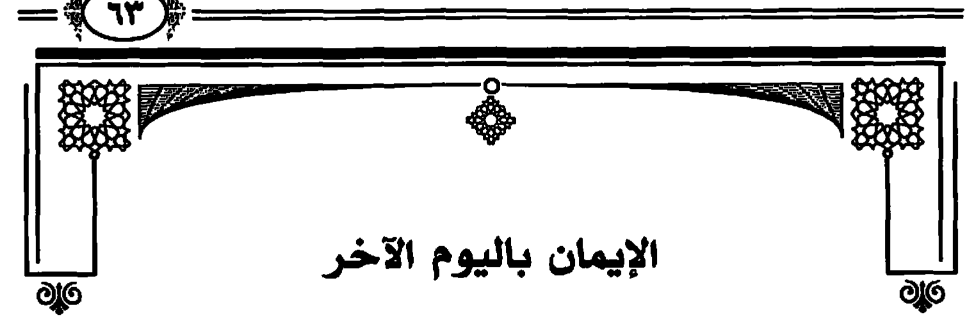
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥ ـ ٥٦]، وقال: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢]، وقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات: ١٨١]، وقال عن نبيه محمد ﷺ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾

[الفتح: ٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال ﷺ: «لا يُؤمنُ أحدُكُم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والدِهِ، وولدِهِ، والناسِ أجمعين» متفق عليه[1].



(١) أخرجه البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤) من حديث أنس ﷺ.



الإيمان باليوم الآخر

هو الاعتقاد الجازم أن الله تعالى يؤخر العباد ليوم يبعثهم فيه من قبورهم، ويحاسبهم على أعمالهم، ويجزيهم عليها؛ إما بالجنة أو النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن: ٧]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝١٦﴾ [الروم: ١٤ ـ ١٦].

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر، ما يلي:

أولاً الإيمان بما يكون بعد الموت

من معاينة الملائكة حين الاحتضار، وفتنة القبر الحاصلة من سؤال الملكين للعبد عن ربه، ودينه، ونبيه، وعذاب القبر، أو نعيمه، مما يكون في حياة البرزخ. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾

[فصلت: ٣٠]، وقال: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن العبدَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ وتولَّى عنه أصحابُهُ، وإنه ليَسْمعُ قرعَ نِعالِهم، أتاه مَلَكانِ فيُقْعِدانهِ فيقولانِ: ما كنتُ تقولُ في هذا الرجُلِ محمَّدٍ ﷺ؟ فأمَّا المُؤمنُ فيقولُ: أشهدُ أنَّه عبدُ الله ورسولُهُ، فيُقالُ له: انظر إلى مقعدِكَ من النارِ قد أبدلَكَ اللهُ به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً، وأما المنافقُ والكافِرُ فيُقالُ له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ؟ فيقولُ: لا أدري، كنتُ أقولُ ما يقولُهُ الناسُ، فيُقالُ: لا دريتَ ولا تليتَ، ويُضربُ بمطارِقَ من حديدٍ ضربةً، فيصيحُ صيحةً يسمعُها مَن يليهِ غيرَ الثَّقلينِ» متفق عليه(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبيُّ ﷺ بقبرينِ فقال: «إنهما ليُعذَّبانِ وما يُعذَّبانِ في كبيرٍ، أمَّا أحدُهُما فكانَ لا يستترُ من البولِ، وأمَّا الآخرُ فكان يمشي بالنميمةِ»، ثم أخذَ جريدةً رَطْبةً فشقَّها نصفين فغرزَ في كلِّ قبرٍ واحدةٍ، قالوا: يا رسولَ اللهِ لِمَ فعلتَ هذا؟ قال: «لعلَّهُ يُخفَّفُ عنهما ما لم يَيْبَسا» متفق عليه(٢).

ثانياً الإيمان بالساعة وأشراطها

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝١٧ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝١٨﴾

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٧٤)؛ ومسلم برقم (٢٨٧٠).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢١٨)؛ ومسلم برقم (٢٩٢).

[الشورى: ١٧ ـ ١٨]، وقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [محمد: ١٨].

ومن أشراط الساعة الكبرى، ما دل عليه قوله ﷺ: «إنها لن تقومَ حتى ترونَ قبلها عشرَ آياتٍ». فذكرَ: الدخانَ، والدجالَ، والدابةَ، وطلوعَ الشمسِ من مغربها، ونزولَ عيسى ابنِ مريم، ويأجوجَ ومأجوجَ، وثلاثةَ خُسُوفٍ: خسفٌ بالمشرقِ، وخسفٌ بالمغربِ، وخسفٌ بجزيرةِ العربِ، وآخرُ ذلك نارٌ تخرجُ من اليمنِ تطردُ الناسَ إلى مَحْشَرِهِم» رواه مسلم[1].

ومجيء الساعة مباغت، سريع؛ قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، وقيامها يكون بنفخة الصعق؛ قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

ثالثاً الإيمان بالبعث

وهو إخراج الله تعالى العباد من قبورهم أحياءً، حفاةً؛ غير منتعلين، عراةً؛ غير مكتسين، غرلاً؛ غير مختونين، بهماً؛ ليس معهم شيء، وذلك بعد النفخة الثانية في الصور. قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١]، وقال ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة، عراة، غرلاً» متفق عليه[2].

---

(١) برقم (٢٩٠١) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٩)؛ ومسلم برقم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه البخاري برقم (٦٥٢٧)؛ ومسلم برقم (٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

رابعاً الإيمان بأحوال القيامة الكبرى

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦]، وهي قيام الناس لرب العالمين قياماً طويلاً في عَرَصات القيامة، يُسْمِعُهُمُ الداعي، ويُنْفِذُهُمُ البصر، وتدنو منهم الشمس، ويُلجمهم العرق، ويُوْرَدُ الحوض، وتُنشر الدواوين، وتوضع الموازين، وينصب الصراط، في مواقف عظيمة، وأحوال مَهولة.

خامساً الإيمان بالحساب

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨]، وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]، وقال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَٰزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وحساب الخلائق نوعان:

١ حساب المؤمنين

وهو إما عرض أو مناقشة. فحساب العرض لمن سبقت له من الله الحسنى من السعداء، ويدل عليه حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن الله يُدني المؤمنَ، فيضعُ عليه كَنَفَهُ، ويَسْتُرهُ، فيقولُ: أتعرفُ ذنبَ كذا؟ أتعرفُ ذنبَ كذا؟ فيقول: نعم، أيْ ربِّ! حتى إذا قرَّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلكَ، قال: سترتُها عليكَ في الدنيا، وأنا أغفرُها لكَ اليومَ. فيُعطى كتابَ حسناتِهِ» متفق عليه[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١)؛ ومسلم برقم (٢٧٦٨).

وأما حساب المناقشة، فيقع لأصحاب الكبائر من الموحدين، ممن شاء الله أن يعذبهم بذنوبهم في النار، ومآلهم إلى الجنة. ويدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس أحدٌ يُحاسبُ يومَ القيامةِ إلا هلكَ**»، فقلتُ: يا رسولَ الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنما ذلكِ العرضُ، وليسَ أحدٌ يُناقشُ الحِسابَ يومَ القيامةِ إلا عُذِّبَ**» متفق عليه[1].

٢ حساب الكافرين

فهؤلاء لا يحاسبون محاسبة الموازنة بين الحسنات والسيئات؛ لأنه لا حسنات لهم، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣] بل يوقفون على أعمالهم، ويقرَّرون بها، ففي حديث ابن عمر السابق: «وأما الكفار والمنافقون، فينادى بهم على رؤوس الخلائقِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]» متفق عليه[2].

سادساً الإيمان بالجزاء

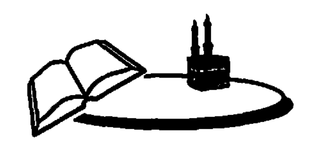
وهو الإيمان أن الجنة حق، والنار حق. فالجنة هي الدار التي أعدَّها الله جزاءً لعباده المتقين، فيها من صنوف النعيم الحسي، والمعنوي، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. والنار هي الدار التي أعدها الله جزاءً للكافرين، فيها من صنوف العذاب الحسي، والمعنوي مثل ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٧)؛ ومسلم برقم (٢٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١)؛ ومسلم برقم (٢٧٦٨).

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٢ ـ ٣٧].





الإيمان بالقدر

هو الاعتقاد الجازم أن الله تعالى قدر مقادير الخلائق بعلمه الأزلي، وكتبها في اللوح المحفوظ، وأجراها بمشيئته، وأوجدها بقدرته.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

ومما يدخل في الإيمان بالقدر، ما يلي:

أولاً | الإيمان بعلم الله

الأزلي، الأبدي، المحيط بكل شيء جملةً، وتفصيلاً، مما يتعلق بأفعاله؛ من تقدير الآجال، والأرزاق، أو يتعلق بأفعال عباده؛ من الطاعات، والمعاصي. قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]. فقد علم من سيطيعه، ومن سيعصيه، كما علم ما يُعمَّر من مُعمَّر وما يُنقَص من عمره.

ثانياً | الإيمان بكتابة الله للمقادير في اللوح المحفوظ

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أن يَخْلُقَ السماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ، قال: وعرشُهُ على الماء» رواه مسلم(١). وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أولَ ما خلقَ اللهُ تعالى القلمَ فقال له: اكتبْ، فقال: ربِّ وماذا أكتبُ؟ قال: اكتبْ مقاديرَ كلِّ شيء حتى تقومَ الساعةُ» رواه أبو داود والترمذي(٢).

وقد جمع الله العلم والكتابة في قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج: ٧٠].

ثالثاً الإيمان بمشيئة الله النافذة

فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، ولا يكون في ملكه ما لا يريد. يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، ولا معقب لحكمه.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٨ ـ ٢٩].

---

(١) برقم (٢٦٥٣).
(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٠٠)؛ والترمذي برقم (٢١٥٥).

رابعاً الإيمان بخلق الله لجميع الكائنات، وإيجاده لها

فالله الخالق، وما سواه مخلوق. وجميع الأشياء؛ ذواتها، وصفاتها، وحركاتها، مخلوقة، محدثة. والله خالقها، وموجدها. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]. فأفعال العباد خلق لله، وكسب لهم؛ قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

خامساً الإيمان أنه لا تلازم بين المشيئة والمحبة

فقد يشاء ما لا يحب، وقد يحب ما لا يشاء، لحكمة بالغة، وغاية محكمة. قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ۝١٣﴾ [السجدة: ١٣]، وقال: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر: ٧].

سادساً الإيمان أنه لا تعارض بين الشرع والقدر

قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٤ ـ ١٠]. وذلك أن الشرع كتاب مفتوح، والقدر غيب مكنون. فقد قدر الله مقادير العباد، وأخفى ذلك عنهم، وأمرهم، ونهاهم، وأعدهم، وأمدهم، بما يؤهلهم لامتثال أمره، واجتناب نهيه، وعذرهم إذا عرض لهم مانع من موانع التكليف. فلا حجة لأحد على فعل المعصية، وترك الطاعة، بالقدر السابق. قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ

أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨ ـ ١٤٩]، فأكذب دعواهم أولاً، وأذاقهم بأسه ثانياً، ولو كان لهم في القدر حجة ما أذاقهم بأسه، وكشف زيف دعواهم، ثالثاً: فهم لم يطلعوا على كتابهم فيصدروا عن علم، فيكون حجة لهم. بل هي مبنية على ظن وتخرص، ليس إلا! فصارت الحجة البالغة لله.

وقد ضل في باب القدر طائفتان:

إحداهما: القدرية النفاة

الذين غلوا في إثبات أفعال العباد، وأنكروا القدر السابق، وهم على درجتين:

(١) غلاة: وهم أوائلهم، الذين ظهروا في أواخر عهد الصحابة ﷺ، وزعموا أن الأمر أُنُف، وقد رد عليهم الصحابة؛ كابن عباس، وابن عمر ﷺ. وقد أنكروا العلم والكتابة، والمشيئة والخلق.

(٢) مقتصدون: وهم المعتزلة، الذين أثبتوا العلم والكتابة، وأنكروا المشيئة والخلق، وزعموا أن العبد يخلق فعل نفسه.

الثانية: الجبرية

الذين غلوا في إثبات أفعال الرب، حتى سلبوا العبد مشيئته وقدرته، وجعلوا أفعاله اضطرارية كحركة المرتعش، ونفوا عن أفعال الله الحكمة والتعليل، وهم على درجتين:

(١) غلاة: وهم زنادقة الصوفية، الذين يزعمون شهود الحقيقة الكونية، ويسوغون لأنفسهم فعل كل شيء، بدعوى موافقة القدر، ويقول قائلهم:

أصبحت منفعلاً لما تختاره   مني ففعلي كله طاعات[1]

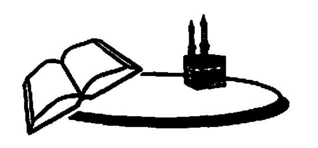
(٢) مقتصدون: وهم الأشاعرة، القائلون بنظرية: (الكسب)، وإثبات قدرة للعبد غير مؤثرة!.

وكلا الطائفتين محجوج بالشرع والواقع:

(١) فمنكرو القدر بمراتبه الأربع ـ العلم والكتابة والمشيئة والخلق التي تقدم ذكرها ـ: تَرد عليهم النصوص الصريحة بإثباتها، ويدل الواقع على أن المرء يعمد لفعل شيءٍ من الأشياء فيحال بينه وبينه.

(٢) والجبرية الغلاة في إثبات القدر، ترد عليهم النصوص الدالة على إثبات الإرادة، والفعل، والمشيئة للعبد. ويدل الواقع على أن كل إنسان يفرق بين أفعاله الاختيارية، وما يقع عليه من أمور اضطرارية.

كما أن النصوص الشرعية متوافرة في إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله ﷻ.



(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص(٢٣٧).



القــرآن

القرآن كلام الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة: ٦]، وقال ﷺ وهو يعرض نفسه على القبائل في الموسم: **«ألا رجلٌ يحمِلُني إلى قومِهِ، فإنَّ قريشاً قد منعوني أن أُبلِّغَ كلامَ ربِّي»** رواه الخمسة[(١)].

فالقرآن كلام الله تعالى حقيقةً؛ حروفه، ومعانيه، لا يشبه كلام المخلوقين، منزل غير مخلوق، تكلم الله به ابتداءً، وأوحاه إلى الروح الأمين، جبريل، فنزل به على قلب محمد ﷺ، مفرقاً، فقرأه على الناس. قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وإذا تلاه الناس، أو كتبوه في المصاحف، أو حفظوه في الصدور، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة؛ فإن الكلام إنما يُنسب حقيقةً إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، فالتلاوة غير المتلو، والكتابة غير المكتوب، والحفظ غير المحفوظ، وهكذا سائر التصرفات، فالفعل فعل القارئ أو الكاتب أو الحافظ، والكلام كلام البارئ. قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٥١٩٢)؛ وأبو داود برقم (٤٧٣٤)؛ والترمذي برقم (٢٩٢٥)؛ والنسائي في السنن الكبرى برقم (٧٦٨٠)؛ وابن ماجه برقم (٢٠١) من حديث جابر ﷺ.

مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ [النحل: ١٠٢ ـ ١٠٣]، وقد أكفر الله من نسبه إلى قول البشر، وتوعده بسقر، فَقَالَ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٦].

وقد ضلَّ في هذا الباب طائفتان:

إحداهما الجهمية والمعتزلة

الذين أنكروا صفات الله، ونفوا كلامه، وزعموا أن إضافة الكلام إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى الخالق؛ كعبد الله، وبيت الله، وناقة الله، لا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

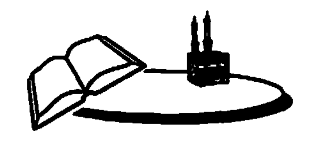
والرد عليهم: أن المُضاف إلى الله، إما أن يكون عيناً قائمة بذاتها، فيكون من إضافة المخلوق لخالقه، وإما أن يكون وصفاً لا يُتصور قيامه بنفسه، مثل الحياة والسمع والبصر والعلم والكلام، فيكون من إضافة الصفة إلى المتصف بها. مع مخالفة ما ادعوه للكتاب والسنة والإجماع.

الثانية الصفاتية من الكُلَّابِيّة والأشاعرة والمَاتُرِيْدِيّة

الذين أثبتوا كلام الله بأنه المعنى القديم القائم في نفسه، وأما الحروف والأصوات فمخلوقة لتُعبر، أو لتحكي ذلك المعنى القديم الذي لا يتجدد، ولا يتعلق بمشيئته.

فقصروا الكلام على المعاني دون الحروف والأصوات، وجعلوا ما سمعه الأبوان في الجنة، وما سمعه موسى عند الشجرة مخلوقاً، لا كلام الله حقيقة!.

والرد عليهم: أن الكلام لا يُطلق إلا على مجموع الأمرين، ولا يسمى حديث النفس كلاماً حقيقة. مع مخالفة ما قالوه للكتاب والسنة والإجماع.





الرؤية

ومن الإيمان بالله واليوم الآخر الإيمان برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، عياناً بأبصارهم، من غير إحاطة، في موضعين:

أحدهما: في عَرَصات القيامة، أي: مواقف الحساب.

والثاني: بعد دخولهم الجنة.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، وقال: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٢٣)﴾ [المطففين: ٢٣]، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فسر النبي ﷺ الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم[١]، وقال ﷺ ـ لمَّا نظر إلى القمر ليلة البدر ـ: «**إنكم سترونَ ربكم كما ترونَ هذا القمرَ، لا تُضَامون في رؤيته**» متفق عليه[٢].

وقد ضلَّ في هذا الباب طائفتان:

إحداهما نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة ومَن وافقهم من الرافضة والإباضية

فقد أنكروا الرؤية، واستدلوا بقوله تعالى لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

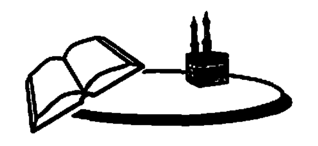
---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨١) من حديث صُهيب رضي الله عنه، وانظر: تفسير الطبري (١٢/ ١٥٥).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٥٤)؛ ومسلم برقم (٦٣٣) من حديث جرير رضي الله عنه.

والرد عليهم: أن المراد بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾؛ أي: في الدنيا، كما طلب، ولا يلزم مِن (لن) النفي المؤبد. وأن نفي الإدراك: نفي للإحاطة لا نفي للرؤية؛ فقد تقع الرؤية ولا يقع الإدراك، كما في رؤية الشمس، والقمر والجبل، ونحوها، مع تواتر النصوص القرآنية والنبوية على إثبات الرؤية.

الثانية الخُرافيون من الصوفية والمبتدعة

الذين غلوا في إثبات الرؤية، وسوغوا وقوعها في الدنيا لأوليائهم، ورووا في ذلك الأحاديث الموضوعة. وقد قال ﷺ: «**واعلموا أنكم لن تروا ربكم ﷻ حتى تموتوا**»[1].



(١) أخرجه أحمد برقم (٢٢٨٦٤)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٧٧١٦)، والآجري في الشريعة برقم (٨٨١) واللفظ له، من حديث عبادة ﷺ. وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة ﷺ.



حقيقة الإيمان

(١) الإيمان قول وعمل؛ قول القلب، واللسان، وعمل القلب، واللسان، والجوارح.

- فقول القلب: اعتقاده، وتصديقه، وقبوله.
- وقول اللسان: التلفظ بكلمة الإسلام، والاستعلان بالشهادتين.
- وعمل القلب: ما يقوم به من النيات والإرادات؛ كالمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل.
- وعمل اللسان: ما يلهج به من الذكر، والدعاء، والتلاوة.
- وعمل الجوارح: ما تتحرك به الأعضاء من العبادات البدنية.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾ [الحجرات: ١٥]، وقال ﷺ: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ ـ أو بضعٌ وستون ـ شعبةً؛ فأفضلُها قولُ: لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان**» أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٩)؛ ومسلم برقم (٣٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

فالإيمان له حقيقة مركبة مِن القول والعمل، فهو تصديق مستلزم للقول والعمل. فانتفاء القول والعمل دليل على انتفاء التصديق.

(٢) **والإيمان عند الانفراد**، مرادف للإسلام عند الانفراد، فإن كلاً منهما يعني الدين كله. وأما عند الاقتران، فالإيمان يعني الاعتقاد الباطن، والإسلام يعني العمل الظاهر، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات: ١٤].

(٣) **والإيمان يزيد وينقص**؛ يزيد بالعلم بالله، والتفكر في آياته الكونية، والتدبر لآياته الشرعية، وفعل الطاعات، وترك المعاصي، وينقص بالجهل بالله، والغفلة عن آياته الكونية، والإعراض عن آياته الشرعية، وتضييع الطاعات، واجتراح السيئات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ [الفتح: ٤].

(٤) **والإيمان يتفاضل**، وبعض خصاله أعلى من بعض، كما في الحديث المتقدم: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ ـ أو بضعٌ وستونَ ـ شعبةً؛ فأفضلُها قولُ: لا إله إلا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان**» أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم[1].

(٥) **وأهله فيه متفاضلون**؛ بعضهم أكمل إيماناً من بعض، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ

---

(١) تقدم ص(٧٨).

﴿ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]، وقال ﷺ: «أكملُ المؤمنين إيماناً: أحسنُهم خُلُقاً» رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي[1].

فمن أتى بالشهادتين معتقداً معناهما، ملتزماً مقتضاهما، فقد أتى بأصل الإيمان. ومن فعل الواجبات، وترك المحرمات، فقد أتى بالإيمان الواجب. ومن فعل الواجبات، والمستحبات، وترك المحرمات، والمكروهات، فقد أتى بالإيمان الكامل.

(٦) **والاستثناء في الإيمان؛** بأن يقول: «أنا مؤمن إن شاء الله» له ثلاثة أحوال:

- أحدها: إن قاله شاكّاً في أصل الإيمان: فالاستثناء محرَّم، بل كُفر؛ لأن الإيمان جزم.
- الثاني: إن قاله خوفاً من تزكية النفس بادعاء تحقيق الإيمان الواجب أو الكامل، فواجب.
- الثالث: إن قاله تبركاً بذكر المشيئة، فالاستثناء جائز.

(٧) **ولا يزول وصف الإيمان بمطلق المعاصي والكبائر،** بل تنقصه، مع بقاء أصله؛ فمرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان؛ مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، لا يخرج من الملة في الدنيا، ولا يخلد في النار في الآخرة، بل يكون تحت المشيئة؛ إن شاء عفا الله عنه بفضله، ورحمته، وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، ومآله إلى الجنة، أو ببعض ذنبه، فيخرج بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٧٤٠٢)؛ وأبو داود برقم (٤٦٨٢)؛ والترمذي برقم (١١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ. ثم يقولُ اللهُ تعالى: «أخرجُوا مَن كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من خردلٍ من إيمانٍ. فيُخرجُونَ منها قد اسوَدُّوا، فيُلْقَونَ في نهرِ الحيا ـ أو الحياةِ ـ» رواه البخاري[١]، وقال ﷺ: «يَخرجُ مِنَ النارِ مَن قالَ: لا إله إلا اللهُ، وفي قلبه وزنُ شعيرةٍ من خيرٍ، ويَخرجُ مِنَ النارِ مَن قال: لا إله إلا اللهُ، وفي قلبه وزنُ بُرَّةٍ من خيرٍ، ويَخرجُ من النارِ من قال: لا إله إلا اللهُ، وفي قلبه وزنُ ذَرَّةٍ من خيرٍ» رواه البخاري[٢]. وفي رواية: «من إيمان»[٣]، مكان «من خير».

وقد ضل في هذه المسألة طائفتان:

➢ الأولى: **الوعيدية**: القائلون بإنفاذ الوعيد، وإنكار الشفاعة في حق مرتكبي الكبائر، من عصاة الموحدين، وهم صنفان:

١ ـ الخوارج: القائلون بأن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ودخل الكفر. فهو كافر في الدنيا، خالد في النار في الآخرة.

٢ ـ المعتزلة: القائلون بأن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان، ولم يدخل في الكفر. فهو في منزلة بين منزلتين في الدنيا؛ لا مؤمن ولا كافر! خالد في النار في الآخرة!

والرد على الوعيدية من وجوه، منها:

أولاً: أن الله تعالى أثبت الإيمان، وأبقى وصف الأخوة الإيمانية لمرتكب الكبيرة، في الدنيا، كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ

---

(١) برقم (٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.
(٢) برقم (٤٤) من حديث أنس ﷺ.
(٣) ذكرها البخاري بعد الرواية السابقة معلقة مجزوماً بها.

شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فسمى القاتل أخاً للمقتول، وكما في قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات: ٩ ـ ١٠]، فنسب الطائفتين المقتتلتين إلى الإيمان، وأثبت لهما أخوة الإيمان.

ثانياً: أن الله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء، ويُخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، كما تواترت بذلك أحاديث الشفاعة.

➢ الثانية: **المرجئة**: القائلون بإرجاء الأعمال، أي تأخيرها، عن مسمى الإيمان، فالعمل عندهم، لا يدخل في تعريف الإيمان، وحقيقته. وهم في تعريف الإيمان أصناف:

١ ـ الجهمية: تصديق القلب، أو معرفة القلب، فقط، فلا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

٢ ـ الكرَّامية: نطق اللسان، فقط.

٣ ـ مرجئة الفقهاء: تصديق القلب، ونطق اللسان، فقط، وأما الأعمال فليست داخلة في حد الإيمان وحقيقته، بل هي من ثمراته.

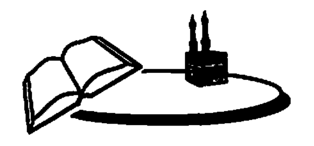
والرد على المرجئة من وجوه، منها:

أولاً: أن الله سمَّى الأعمال إيماناً، فقال في شأن من صلُّوا إلى بيت المقدس، وماتوا قبل تحويل القبلة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: صلاتكم.

ثانياً: أن النبي ﷺ نفى الإيمان المطلق عن مرتكب الكبائر العملية، فقال: «لا يزني الزَّاني حينَ يزني وهو مؤمنٌ، ولا يَسرِقُ السارقُ

حينَ يسرقُ وهو مؤمن، ولا يشربُ الخمرَ حينَ يشربُها وهو مؤمنٌ، ولا ينتهبُ نُهبةً ذاتَ شرفٍ، يرفعُ الناسُ إليه فيها أبصارَهُم، حين ينتهبُها، وهو مؤمنٌ» متفق عليه[١].

ومنشأ فساد مقالة كلا الطائفتين؛ الوعيدية، والمرجئة، من اعتقادهم أن الإيمان شيء واحد، إما أن يوجد كله، أو يعدم كله! فأما المرجئة فأثبتوه بمجرد الإقرار؛ بالقلب، أو اللسان، أو بهما معاً، ولو لم يعمل البتة، فهم أهل تفريط. وأما الوعيدية فنفوه بأدنى كبيرة، فهم أهل إفراط. فمقدمتهما واحدة، ونتيجتاهما متضادتان!



(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٧٥)، ومسلم برقم (٥٧) من حديث أبي هريرة ﷺ، واللفظ لمسلم.



الإمامة والجماعة

المسلمون أمة واحدة؛ لا يستقيم أمرها، ولا يصلح شأنها، ولا تتحقق رسالتها إلا بأمور:

١ وجوب البيعة

قال ﷺ: «**مَن ماتَ وليسَ في عُنُقه بيعةٌ، ماتَ ميتةً جاهليةً**» رواه مسلم(١).

٢ السمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف

وإقامة الحج، والجُمع، والأعياد، مع الأمراء؛ أبراراً كانوا أو فجّاراً، والنصح لهم، والرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، وقال ﷺ: «**على المرءِ المسلمِ السمعُ والطاعةُ، فيما أحبَّ وكَرِهَ، إلا أن يُؤمرَ بمعصيةٍ، فإذا أُمر بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعةَ**» متفق عليه(٢)، وقال: «**مَن خلعَ يداً مِن طاعةٍ، لقيَ اللهَ يومَ القيامةِ لا حُجَّةَ له**» رواه مسلم(٣).

---

(١) برقم (١٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٧١٤٤)؛ ومسلم برقم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٣) برقم (١٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وهو طرف الحديث الأول في هذا الباب.

٣ تحريم الخروج عليهم، ومنابذتهم

ولو جاروا، إلا أن يفعلوا كفراً بواحاً، عندنا فيه من الله برهان؛ لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «دعانا النبيُّ ﷺ فبايعناه. فقال فيما أخذَ علينا أن بايَعَنَا: **على السمعِ والطاعةِ في مَنشطِنا، ومكرهِنَا، وعُسرِنا، ويُسْرِنا، وأثَرَة علينا، وأن لا نُنازِعَ الأمرَ أهلَه، إلَّا أن تروا كُفْراً بَوَاحاً، عندكم مِن اللهِ فيه بُرهانٌ**» متفق عليه[1]. وقال ﷺ: «**إنكم سترونَ بعدي أثرةً وأُموراً تُنكرونها**» قالوا: فما تأمُرُنا يا رسولَ الله؟ قال: «**أدُّوا إليهمْ حَقَّهم، وسَلُوا اللهَ حقَّكُم**» متفق عليه[2].

فلا يحل الخروج عليهم، إلا بتوفر شروط ثقال:

(١) التحقق من وقوع الكفر برؤية علميةٍ، أو بصرية، لقوله: «**إلا أن تروا**». فلا يعتمد على الشائعات، والبلاغات.

(٢) أن يكون (كفراً)، فلا يخرج عليهم لفسقهم وفجورهم.

(٣) أن يكون (بواحاً) أي ظاهراً، مستعلناً. فلا يخرج عليهم لكفر خفي.

(٤) وجود الدليل القطعي على التكفير به، لقوله: «**عندكم فيه من الله برهان**»، فلا يخرج عليهم، لأمر ظني، محتمل، أو مسألة خلافية.

(٥) القدرة: فلا يخرج مع العجز، ولو توفر ما مضى، حتى لا يؤدي إلى استئصال الدين، وأهله. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧]، فأمروا بالكف حال الضعف، وكتب عليهم مع القدرة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)؛ ومسلم برقم (١٧٠٩) [٤٧٧١].

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٢)؛ ومسلم برقم (١٨٤٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.



الصحابة

➢ الصحابي: من اجتمع بالنبي ﷺ، مؤمناً به، ومات على ذلك.

والصحابة، رضوان الله عليهم، خير الناس بعد الأنبياء، وأفضل قرون الأمة، قال ﷺ: «خيرُ الناسِ قَرْني»[1]، وقال: «خير أُمتي قرني»[2] متفق عليهما.

وهم كلهم عدول؛ لأن الله سبحانه قد اختارهم لصحبة نبيه ﷺ وزكاهم، ورضي عنهم، وتاب عليهم، ووصفهم بأكرم الأوصاف، ووعدهم خير عِدَة، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

ومع ذلك، فإنهم يتفاضلون، تفاضلاً عاماً وخاصاً؛ فمن مراتب التفاضل العام:

١ المهاجرون أفضل من الأنصار

لجمعهم بين الهجرة والنصرة، ولأن الله تعالى قدمهم في الذكر، فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٢)؛ ومسلم برقم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٠)؛ ومسلم برقم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما واللفظ للبخاري.

﴿ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨ ـ ٩].

وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

٢ من أنفق من قبل صلح الحديبية، وقاتل، أفضل من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

٣ أهل بدر

لقول النبي ﷺ لعمر ﷺ في قصة حاطب بن أبي بلتعة: «**إنه شهدَ بدراً، وما يُدريكَ لعلَّ اللهَ أن يكونَ قدِ اطَّلَعَ على أهلِ بدر فقال: اعمَلُوا ما شئتُم فقد غَفَرْتُ لَكُمْ**» متفق عليه[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٧)؛ ومسلم برقم (٢٤٩٤) من حديث عليٍّ ﷺ.

٤ أهل بيعة الرضوان

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨]. وقال ﷺ: «**لا يدخلُ النارَ، إن شاءَ اللهُ، مِن أصحاب الشجرةِ أحدٌ مِن الذين بايعُوا تَحْتَهَا**» رواه مسلم[(١)].

وأما التفاضل الخاص:

١ الخلفاء الراشدون الأربعة

فأفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، بإجماع أهل السنة والجماعة، وقد تواتر النقل، من أكثر من ثمانين وجهاً، عن علي رضي الله عنه أنه قال على منبر الكوفة: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر» رواه أحمد بأسانيد صحيحة، وابن أبي عاصم، وصححه الألباني[(٢)]، ولا يقطع علي رضي الله عنه بذلك إلا عن علم.

ويليهما في الفضل عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ لما روى البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كنا نُخيِّرُ بين الناس في زمانِ رسولِ الله ﷺ، فنُخيِّرُ أبا بكرٍ، ثم عمرَ، ثم عثمانَ رضي الله عنهم»[(٣)]. وفي لفظ: «فيبلُغُ ذلكَ النبيَّ ﷺ فلا يُنكره»[(٤)]. وقال سفيان الثوري رحمه الله: «من قدم عليّاً على أبي بكر وعمر فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار»[(٥)]؛ لكونهم

(١) برقم (٢٤٩٦) من حديث أمّ مُبَشِّرٍ رضي الله عنها.
(٢) أخرجه أحمد برقم (٨٣٦)، وابن أبي عاصم في السنة بتخريج الألباني برقم (١٢٠١).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٥).
(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة بتخريج الألباني برقم (١١٩٣).
(٥) أخرجه ابن معين في تاريخه من رواية ابن محرز برقم (٨٨٥)؛ والخلال في السنة =

قدموه في الخلافة، ويليه علي بن أبي طالب ﷺ، فترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

٢ المبشرون بالجنة

وهم الخلفاء الأربعة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وسعيد بن زيد، رضوان الله عنهم أجمعين؛ فقد شهد النبي ﷺ للعشرة بالجنة، رواه الخمسة(١)، وهو صحيح.

كما دلت النصوص على البشارة لغيرهم كبلال(٢)، وثابت بن قيس(٣)، وعبد الله بن سلام(٤)، رضي الله عنهم أجمعين.

٣ أهل بيت النبي ﷺ

وهم خمسة بطون تحرم عليهم الصدقة: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب. قال ﷺ: «إن الله ﷻ

= برقم (٥٢٨)، وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥/ ٥٠) عنه بلفظ: «مَن قدم عليّاً على عثمان فقد أزرى على اثني عشر ألف، قُبض رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، الذين أجمعوا على بيعة عثمان».

(١) أخرجه أحمد برقم (١٦٧٥)؛ والترمذي برقم (٣٧٤٧)؛ والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨١٣٨) من حديث عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ، بذكر العشرة، وأخرجه أحمد برقم (١٦٣١)؛ وأبو داود بر قم (٤٦٤٩)؛ والترمذي برقم (٣٧٤٨)؛ والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨١٦٢)؛ وابن ماجه برقم (١٣٣) من حديث سعيد بن زيد ﷺ بذكر التسعة.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١١٤٩)؛ ومسلم برقم (٢٤٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه مسلم برقم (٢٤٥٧) من حديث جابر ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦١٣)؛ ومسلم برقم (١١٩) من حديث أنس ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٨١٢)؛ ومسلم برقم (٢٤٨٣) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

اصطفى كِنانةَ من ولدِ إسماعيلَ ﷺ، واصطفى قُريشاً من كِنانةَ، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» رواه مسلم[(١)]، وقال: «أُذكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بيتي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بيتي» رواه مسلم[(٢)]. ولما شكا إليه العباس بن عبد المطلب ﷺ أن بعض قريش يجفو بني هاشم، قال: «واللهِ، لا يدخُلُ قلبَ امْرِئٍ إيمانٌ حتى يُحبَّكم للهِ ولِقَرَابَتي» رواه أحمد[(٣)].

ومن أهل بيته ﷺ، أزواجه الطيبات المطهَّرات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وقد اصطفاهنَّ الله لنبيه، وجعلهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وسمَّاهن أمهات المؤمنين. وأفضلهن خديجة، وعائشة بنت أبي بكر ﷺ. وبقيتهن: سودة بنت زمعة، وحفصة بنت عمر، وأم سلمة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وصفية بنت حيي، وزينب بنت جحش، وجويرية، وميمونة، وزينب بنت خزيمة، رضي الله عنهن جميعاً.

فالواجب تجاه الصحابة، على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم:

> أولاً: محبتهم، وموالاتهم، والترضي عنهم، والاستغفار لهم، والثناء عليهم، آحاداً وجماعات. قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال ﷺ: «آيةُ الإيمانِ حُبُّ الأنصارِ، وآيةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأنصارِ» رواه البخاري[(٤)]،

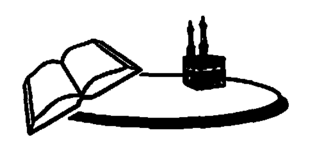
(١) برقم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ.
(٢) برقم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم ﷺ.
(٣) برقم (١٧٧٧) من حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ.
(٤) برقم (١٧) من حديث أنس ﷺ.

وقال علي ﷺ: والذي فَلَقَ الحبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، إنه لعهدُ النبيِّ الأميِّ ﷺ إليَّ: «أن لا يُحبَّنِي إلا مؤمنٌ، ولا يُبغِضَني إلا مُنافقٌ» رواه مسلم[١].

➢ ثانياً: سلامة القلوب والألسنة لهم: من الغل وسوء الظن، ومن السب واللعن. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال ﷺ: «لا تَسُبُّوا أصحابي؛ فَوَالَّذي نفسي بيدِهِ، لو أنَّ أحدَكُم أنفقَ مثلَ أُحدٍ ذهباً، ما بلغَ مُدَّ أحدِهِم ولا نَصِيفَهُ» متفق عليه[٢].

➢ ثالثاً: الكف عما شجر بين بعضهم، وإحسان الظن بهم، والاعتذار لهم بأنهم مجتهدون؛ إما مصيبون فلهم أجران، أو مخطئون فلهم أجر واحد. ولهم من السوابق، والمناقب، والحسنات العظيمة، ما يوجب مغفرة الذنوب، إن كان قد صدر منهم ذنب.

➢ رابعاً: البراءة من طريقة الروافض، أهل الغلو في أهل البيت، والبغض والسب لعامة الصحابة، ومن طريقة النواصب، أهل الجفاء والأذى لأهل بيت رسول الله ﷺ.



---

(١) برقم (٧٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٣)؛ ومسلم برقم (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد ﷺ، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.



الأولياء

المؤمنون كلهم أولياء الله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وأكرمهم عنده أتقاهم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. فمَن كان لله تقياً كان لله ولياً، فوِلَايتهم له بطاعته ومحبته، وولايته لهم بمحبتهم والإحسان إليهم.

١ الولي

هو كل مؤمن تقي. قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣]، ومراتبهم في الولاية، بحسب مراتبهم في الإيمان والتقوى، لا بنسبٍ ولا دعوى. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

٢ الكرامة

أمر خارق للعادة يجريه الله على يد ولي من أوليائه، كرامةً له، وتصديقاً للنبي الذي اتبعه. وهي على نوعين:

- أحدهما: في العلوم، والمكاشفات، والفراسة، والإلهامات.
- الثاني: في القدرة، والتأثيرات.

والكرامات حاصلة لأولياء الله في الأمم الماضية، ولصدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وباقية فيها إلى يوم القيامة.



أصول جامعة في التأصيل والاستدلال

١ الأصول الجامعة

التي تؤخذ منها العقيدة، والشريعة، والسلوك، ثلاثة: الكتاب، والسنة الصحيحة، والإجماع المنضبط. ولا يحل أن تعارض برأي، أو قياس، أو ذوق، أو كشف، أو قول أحد كائناً من كان.

٢ السبيل في فهم الكتاب والسنة

سبيل السابقين الأولين من المهاجرين، والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، والإعراض عن السبل المبتدعة التي أحدثها المتكلمون والصوفية؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

٣ العقل الصريح

السالم من الشبهات والشهوات، لا يعارض النقل الصحيح، السالم من العلل القادحات. وقد تأتي النصوص بمَحَارَاتِ العقول، لكن يمتنع أن تأتي بمُحَالاتِ العقول. ومن توهم التعارض فقد أتي من فساد عقله، ويلزمه حينئذ: تقديم النقل على العقل.

٤ البدعة

هي الإحداث في الدين. قال ﷺ: «مَن أحدثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ منه فهو ردٌّ» متفق عليه[١]، وفي لفظ عند مسلِم وعند البخاري معلقاً مجزوماً به: «من عَمِلَ عملاً ليسَ عليه أمْرُنا فهو ردٌّ»[٢].

وهي أنواع:

١ ـ عقدية: كالتشيع والخروج والقدر والإرجاء.

٢ ـ عملية: كالرهبانية والطرقية.

٣ ـ أصلية: كالموالد والأذكار المُحدثة.

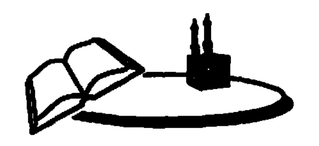
٤ ـ إضافية: تتطرق إلى العبادة في سببها أو جنسها، أو قدرها، أو كيفيتها، أو زمانها، أو مكانها.

٥ ـ مغلظة: كالشرك بأنواعه.

٦ ـ مخففة: كالذكر الجماعي.

٧ ـ مكفرة: كنفي الصفات.

٨ ـ مفسقة: كالسماع المحرم.



(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)؛ ومسلم برقم (١٧١٨) من حديث عائشة ﵂.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به قبل حديث رقم (٢١٤٢) ورقم (٧٣٥٠)؛ ومسلم برقم (١٧١٨) من حديث عائشة ﵂





من مكملات العقيدة

١ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«مَن رأى منكم مُنكراً فلْيُغيّرهُ بيده، فإن لمْ يستطعْ فبِلِسَانهِ، فإن لم يستطعْ فبِقَلبِهِ، وذلكَ أضعفُ الإيمان»**(١).

ولا بد من العلم قبله، والرفق معه، والصبر بعده.

٢ الحرص على الوحدة والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣، ١٠٥]، وقال: ﴿أَنْ أَقِيمُوا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٩).

﴿ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال ﷺ: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشدُّ بعضُهُ بَعْضاً» وشبَّكَ بين أصابعه. متفق عليه[١]. وقال ﷺ: «مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتَرَاحُمِهِم وتَعَاطُفِهِم، مَثَلُ الجسدِ، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحُمّى»[٢].

٣ مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال

من الصبر، والكرم، والشجاعة، والحلم، والصفح، والتواضع، وترك أضدادها، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩].

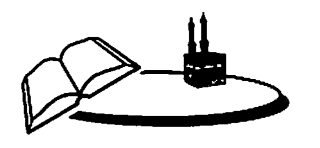
وعن أبي الدرداء ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ما مِن شيءٍ أثقلُ في الميزانِ من حسنِ الخُلقِ»[٣]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن نفّسَ عن مُؤمنٍ كربةً مِن كُرَبِ الدنيا نفَّسَ اللهُ عنه كُربةً مِن كُرَب يومِ القيامةِ، ومَن يَسَّرَ على مُعسرٍ يسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر مسلماً سترهُ اللهُ في الدنيا والآخرة، واللهُ في عونِ العبدِ

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٦)؛ ومسلم برقم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى ﷺ، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بَشير ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٩)؛ والترمذي برقم (٢٠٠٢)، (٢٠٠٣) واللفظ لأبي داود، وعند الترمذي زيادة بعده: «وإن صاحبَ حُسنِ الخُلقِ ليبلُغُ به درجةَ صاحبِ الصومِ والصلاةِ».

ما كان العبدُ في عونِ أخيه، ومَن سلكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً سَهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوت اللهِ، يتلون كتاب اللهِ، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهمُ السكينةُ، وغشيتهُمُ الرحمةُ، وحفّتهُمُ الملائكةُ، وذكرهمُ اللهُ فيمن عندهُ، ومَن بطأَ به عملُهُ لم يُسرعْ به نسبُهُ»[١].



(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).



الدين والطريقة

دين الله واحد، وهو الإسلام؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهو دين الله للأولين والآخرين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤]. وهذا هو الإسلام بالمعنى العام؛ الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك.

وأما الإسلام بالمعنى الخاص، فهو ما بعث الله به نبيه محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق؛ من عقائد صحيحة، وشرائع عادلة، وأعمال صالحة، وأخلاق قويمة، وجعله ناسخاً لما سبقه من الأديان، فلا يقبل ديناً سواه؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال ﷺ: «والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ، لا يَسمعُ بي أحدٌ مِن هذه الأمةِ؛ يهوديّ، ولا نصرانيّ، ثم يموتُ ولم يُؤمن بالذي أُرسلتُ به، إلا كان من أصحابِ النارِ» رواه مسلم(١).

وقد سمى الله عباده الذين سبقت لهم منه الحسنى مسلمين؛ فقال: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]، لكن لمَّا جرت سنة الله في خلقه أن يختلفوا، ويفترقوا ـ كما قال نبيه ﷺ: «ألا إنَّ مَن

---

(١) برقم (١٥٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

كان قَبلَكُم مِن أهلِ الكتابِ افترقوا على ثنتينِ وسبعينَ ملةً، وإنَّ هذه الملةَ ستفترقُ على ثلاثٍ وسبعينَ؛ ثنتان وسبعونَ في النار، وواحدةٌ في الجنةِ، وهي الجماعةُ» رواه أحمد وأبو داود والترمذي[1] ـ، صارت هذه الفرقة الناجية، هم أهل السنة والجماعة، المُتمسِّكون بالكتاب، المتَّبعون للسنة، الخالصة من الشوب والأهواء والبدع، وهم الطائفة الظاهرة، الذين قال فيهم: **«لا تزالُ طائفةٌ من أمتي قائمةً بأمرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم أو خَالَفَهُم، حتى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم ظاهِرُون على النَّاسِ»** متفق عليه[2].

وهم وسط بين طرفين، وعدل بين عوجين، وهدًى بين ضلالتين:

(١) بين المشبهة والمعطلة في باب صفات الله.

(٢) وبين الجبرية والقدرية في باب أفعال الله.

(٣) وبين المرجئة والوعيدية في باب وعيد الله، وأسماء الإيمان والدين.

(٤) وبين الخوارج والرافضة في باب أصحاب رسول الله ﷺ.

وهم برآء من هذه المذاهب الرديَّة، والطرائق الغويّة، مغتبطون بمنَّة الله عليهم أن حبَّب إليهم الإيمان، وزيَّنه في قلوبهم، وكرَّه إليهم

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٦٩٣٧)؛ وأبو داود برقم (٤٥٩٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، والترمذي برقم (٢٦٤٠)؛ وابن ماجه برقم (٣٩٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي برقم (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٩٩٢) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٦٤١)؛ ومسلم برقم (١٠٣٧) [٤٩٥٥] من حديث معاوية رضي الله عنه؛ واللفظ لمسلم.

الكفر والفسوق والعصيان، ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ [الحجرات: ٨].

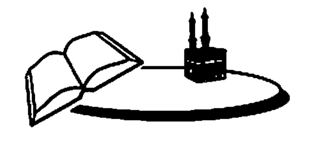
وصلَّى الله وسلَّم على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

تم الفراغ منه في: ١٤٢٧/٢/١٥هـ

عنيزة



فهرس الموضوعات